جوانب البناء القرآني للإنسان وآلياته، دراسة موضوعية

إعداد:

مُحَمَّد أمين حسيني

طالب دكتوراه، قسم القرآن والحديث

أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا

الدكتور: مصطفى عبدالله

الأستاذ المشارك بقسم القرآن والحديث

أكاديمية الدراسات الإسلامية، جامعة ملايا

الدكتور: فؤاد بن أحمد بو النعمة

الأستاذ المساعد بقسم الحديث وعلومه

كلية العلوم الإسلامية، جامعة المدينة العالمية

ملخص البحث

يهدف هذا البحث إلى بيان جوانب بناء الإنسان وآلياته في ضوء القرآن الكريم.

تكمن مشكلة البحث في أن مجالات بناء الإنسان كما وردت في ضوء القرآن الكريم تحتاج إلى استكشاف وإبراز، وذلك من حيث عددها ومراتبها وآلياتها.

تكمن أهمية البحث في أنه يتناول موضوع بناء الإنسان من خلال تحديد مجالات البناء وآلياته كما وردت في القرآن الكريم؛ لأن معرفة مجالات بناء الإنسان وآلياته في ضوء القرآن الكريم يساهم مساهمة فعالة في تأسيس الإنسان وتأهيله لممارسة دوره الوظيفي في الوجود.

وقد اعتمد الباحثُ في بحثه هذا المنهج الاستقرائي؛ وذلك بتتبع الآيات وجمع النصوص التي ورد فيها ذكر مجالات بناء الإنسان ووسائله، وذلك من خلال المصادر التفسيرية القديمة والحديثة التي تناولت هذا الموضوع، والدراسات والكتب الفكرية ذات العلاقة ببناء الإنسان، كما اعتمد المنهج التحليلي في تحليل النصوص القرآنية، واستنباط طرق بناء الإنسان على جميع المستويات، مع ملاحظة السياق الذي وردت فيه.

ومن أهم النتائج التي توصل إليها البحث: أن جوانب بناء الإنسان في القرآن خمسة؛ وهي العقدي، والروحي، والعلمي، والخلقي، والبدني، وهي مرتبة على حسب الأهمية، ومتكاملة لا يمكن الاستغناء عن أي جانب، كما أن آليات بناء هذه الجوانب والمجالات متعددة ومتنوعة تتماشى مع طبيعة الإنسان وتناسبها، مثل مخاطبة العقل والفطرة في التأسيس للجانب العقدي، ومثل العبادات؛ كالصلاة والأذكار والزكاة في خدمة الجانب الروحي.

الكلمات الدلالية: جوانب، مجالات، بناء الإنسان، آليات، القرآن الكريم.

Abstract

This research aims to clarify the human building aspects and mechanisms in the light of the Qur'an. The problem statement of this research is that the aspects of human being building as mentioned in the light of the Qur'an need to be identified and highlighted, in terms of type, priority and mechanisms. This study is significant because it identifies and uncovers the aspects of human building according to the Holy Qur'an, which is essential to qualify the human being to fulfill the duties he is assigned with. This research used the inductive and the analytical approaches. The findings of the research show that the aspects of human building consist of five aspects, namely: faith, spiritual, intellectual, ethical and physical aspects, respectively. These aspects are integrated and connected with one another. In addition, the study shows that there are several mechanisms of human building such as the various religious practices like prayer (Salat), and Zakat, contemplation (tadabur) and many other.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

يجمع العقلاء على أن الإنسان هو صانع النهضة والمؤهل لتأسيس العمران وبناء الحضارات، فهو أساس رقيها أو سقوطها، فلذلك اعتبروا بناء الإنسان وتأسيسه من أهم المهام التي تستلزم الاهتمام والرعاية الجادة.

وهكذا نَهْج القرآن؛ إذ إن قارئه يلاحظ أن بناء الإنسان يعتبر أحد مقاصد القرآن الكريم الأساسية والمحورية، فلذلك يوليه اهتماما بالغا؛ لأنَّ الإنسان المبني على أسس سليمة هو الكفيل والمؤهل لتحمل أعباء الخلافة في الأرض، وبالنظر إلى جيل الصحابة- رضي الله عنهم أجمعين- يمكن ملاحظة هذه الحقيقة عناية القرآن ببناء الإنسان، كما يمكن ملاحظة قدرة القرآن على البناء والتغيير؛ حيث سعى إلى بناء ذلك الجيل وتأسيسه حتى أصبح مؤهلا للقيام بدوره الوظيفي في الوجود، فلما صلح ذلك الجيل- بتأثير القرآن- صار مصلحًا، والتاريخ يشهد على الإنجازات الإيجابية العظيمة التي قام بها ذلك الجيل الذي نشأ في ظلال القرآن.

فالقرآن إذًا يسعى إلى بناء الإنسان وتأسيسه في شتى الجوانب والمجالات ليصبح قادرًا على ممارسة العمران.

ومن هنا جاءت أهمية هذا البحث؛ إذ يهدف إلى بيان جوانب البناء القرآني للإنسان، وبيان منهجه في ذلك، وقد قسمت مادة هذه الدراسة إلى مقدمة وخمسة مباحث وخاتمة، وهي كما يلي:

المقدمة: وفيها توطئة للموضوع.

المبحث الأول: الجانب العقدي.

المبحث الثاني: الجانب الروحي.

المبحث الثالث: الجانب العلمي والمعرفي.

المبحث الرابع: الجانب الأخلاقي.

المبحث الخامس: الجانب البدني.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

إشكالية البحث:

يُجمع العقلاء أن بناء الإنسان ضروري لقيام الحضارات والعمران؛ لأنه العنصر الفاعل في عملية التطور الحضاري، غير أن هناك اختلافا وتباينا حول كيفية بناء الإنسان، والجوانب التي يجب بناؤها، والآليات التي يتم من خلالها بناء الإنسان القادر على النهوض بأعباء الخلافة، ونحن كمسلمين نوقن أن القرآن الكريم تصميم رباني متميز يسعى إلى بناء وعمارة ذات الإنسان في شتى المجالات والنواحي؛ ليؤهله لعمارة الأرض على وجه سليم، وبالتالي نسعى إلى استنباط جوانب وآليات بناء الإنسان من خلال القرآن الكريم، إلا أن هذه الجوانب والآليات وردت في القرآن الكريم متفرقة ومتناثرة، كما أن بعضها واضح والآخر خفيٌّ، تكمن مشكلة البحث في أن جوانب بناء الإنسان تحتاج إلى استكشاف وإبراز كما وردت في ضوء القرآن الكريم، وذلك من حيث عددها ومراتبها وآلياتها، وهذا ما يريد الباحث أن يدرسه.

أسئلة البحث:

قد جاء هذا البحث للإجابة عن الأسئلة التالية:

١- ما جوانب البناء القرآني للإنسان؟

٢- ما هي آليات البناء القرآني لتلك الجوانب؟

أهداف البحث:

يسعى هذا البحث إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- بيان جوانب البناء القرآني للإنسان.

٢- تحديد آليات البناء لتلك الجوانب كما وردت في القرآن الكريم.

أهمية البحث:

تكمن أهمية البحث في أنه يتناول موضوع بناء الإنسان من خلال تحديد جوانب البناء وآلياته كما وردت في القرآن الكريم؛ لأن معرفة مجالات وجوانب بناء الإنسان وآلياته في ضوء القرآن الكريم يساهم مساهمة فعالة في تأسيس الإنسان وتأهيله لممارسة دوره الوظيفي في الوجود.

المصطلحات والمفاهيم:

بناء: بنى الشَّيء بنيًا وبناء وبنيانًا: أقام جداره ونحوه، يقال: بنى السَّفينة، ويستعمل مجازًا في معان تدور حول التأسيس والتنمية، يقال: بنى مجده، وبنى الرِّجال، ومن ذلك قول الشَّاعر:

يبني الرّجال وغيره يبني القرى شتَّان بين قرى وبين رجالِ[١]

وكل شيء صنعته فقد بنيته[٢]، والبني نقيض الهدم[٣]، والمقصود به في هذا البحث هو تكوين الإنسان وتأسيسه على جميع المستويات العقدية والروحية والمعرفية والخلقية والبدنية.

الدراسات السابقة:

وقف الباحث على بعض الدراسات التي لها تعلق قريب بموضوع بحثنا، غير أنها لم تتناول جوانب ومجالات البناء الإنساني في القرآن الكريم وآليات بناء تلك الجوانب كما يريد الباحث أن يفعل، وفيما يلي ذكر تلك الدراسات:

«**القرآن وبناء الإنسان**»[٤]، تناول هذا الكتاب عناصر متعددة، فتحدث عن تكريم

(١) مادة الكلمة: بنى. إبراهيم مصطفى، أحمد الزَّيات، حامد عبد القادر ومُحَمَّد النَّجار، **المعجم الوسيط**، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (القاهرة: دار الدعوة، ط١، ١٩٨٥)، ج١، ص٧٢.

(٢) مادة الكلمة: بني. الزمخشري، جار الله، أساس البلاغة، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود، (بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٩، ١٩٩٨)، ج١، ص٧٩.

(٣) مادة الكلمة: بني. ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، **لسان العرب**، (بيروت: دار صادر، ط١، د.ت)،ج١٤، ص٨٩.

(٤) البكري، صالح عبد القادر، **القرآن وبناء الإنسان**، (جدة: مطبوعات تهامة، ١٤٠٢، ١٩٨٢).

الإسلام للإنسانية الأولى، فالإنسان في نظر الإسلام مكرم لمجرد كونه إنسانا، ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠]، ومقياس التفاضل في نظر الدين هو العمل الصالح، ثم تطرق إلى أن الإنسان هو خليفة الله في أرضه، هو القوام في هذه الأرض، وهو المكلف بعمارتها، وكل شيء فيها مسخر له وتحت سيادته، وذكر أن علم الإنسان بكونه خليفة لله في أرضه يضطره إلى أن يتخلق بأخلاق موكله، ثم أشار إلى منهج الإسلام في بناء الإنسان وذلك بتربيته ليكون عنصرا نشطا مؤتلفا مع المجتمع، ينفع ولا يضر، ويألف ويؤلف، بالرغم من أن عنوان هذا الكتاب يدل على أنه يتناول العلاقة بين القرآن وبناء الإنسان؛ إلا أنه لم يوف العنوان حقّه، فلم يتطرق إلى مجالات وجوانب البناء الإنساني كما وردت في القرآن الكريم، كما لم يتطرق إلى بيان آليات ووسائل بناء تلك المجالات.

«**الشخصية الإنسانية في ضوء القرآن الكريم**»[(١)]، ذكر المؤلف في هذا الكتاب ثلاث شخصيات: ١- شخصية المهتدي- المسلم الحق؛ فذكر أن شخصية المسلم تتشكل من العناصر الأساسية المتمثلة في: العلم، الإيمان، العمل، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الحجّ: ٥٤]، وبعدها أسهب في الحديث عن هذه المكونات الأساسية الثلاثة وآثارها في شخصية المسلم؛ فتكلم عن العلم والمعرفة بالإسلام، وفصل خصائص المعرفة اللازمة بالإسلام؛ كأن تكون شاملة لكل جوانبه عقيدة وعبادة وتشريعا وغيرها، وأن تكون تغييرية؛ أي تحمل في داخلها العنصر الثوري الذي يقصد إلى التغيير ويخطط له وينفذه، وغيرها من خصائص المعرفة بالإسلام، ثم ذكر أن تدبر القرآن أعظم ما يحدث تغييرا في شخصية المسلم، وبعدها انتقل إلى عنصر الإيمان وبين أركانه من إيمان بالله الواحد وإيمان

(١) غراب، أحمد عبد الحميد غراب، **الشَّخصية الإنسانية في ضوء القرآن الكريم**، (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٥).

بالغيب، وبين صفات المؤمنين المتقين في القرآن والتي هي- بالإضافة إلى العلم- ما يكون شخصية المسلم الحق، ثم انتقل إلى المكون الثالث وهو العمل، وبيّن أن الإيمان أخلاق وأعمال، وذكر أن تحقيق هذا العنصر يكون بأداء مختلف العبادات؛ كالصلاة والزكاة والصيام والجهاد، كما يتحقق بأداء الأمانات ويقصد به تحمل المسئولية في كل عمل يؤديه المسلم في علاقاته بالله والناس، ثم ذكر أخلاقا ترتبط بأداء الأمانات والتي تتمثل في: العدل والوفاء بالعهد، والصدق، والصبر، وآخر شيء يتحقق به هذا العنصر هو تجنب المحرمات والرذائل.

أسهب الباحث كثيرا في بيان عناصر الشخصية المسلمة وهي في الحقيقة تندرج تحت مجالات وجوانب البناء الإنساني في القرآن الكريم، إلا أنه لم يستقص جميع الجوانب كما لم يتطرق إلى الآليات والسبل الواردة في القرآن الكريم والتي يتم من خلالها بناء تلك المجالات، وسيفيد الباحث من هذه الدراسة فيما يتعلق بعناصر الشخصية المسلمة.

يلاحظ أن هذه الدراسات لم تتناول مجالات وجوانب بناء الإنسان في التصور القرآني ولم تحدد آليات ووسائل البناء، ولذلك فإن هذه الدراسة ستعمل على تغطية هذه الفجوة من خلال تحديد جوانب البناء الإنساني وآلياته في ضوء القرآن الكريم.

منهج البحث:

قد اعتمد الباحثُ في بحثه هذا:

المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع الآيات وجمع النصوص التي تخصّصت في الحديث عن جوانب بناء الإنسان ووسائله، وذلك بالأدوات التالية:

أ) المصادر التفسيرية القديمة والحديثة التي تناولت هذا الموضوع.

ب) الدراسات والكتب الفكرية ذات العلاقة ببناء الإنسان.

المنهج التحليلي الوصفي: وذلك لتحليل النصوص القرآنية واستنباط طرق بناء الإنسان على جميع المستويات، مع ملاحظة السياق الذي وردت فيه.

حدود البحث:

هذه الدراسة سوف تكون مقتصرة على الآيات التي تتحدث عن البناء الإنساني ووسائله من خلال القرآن الكريم فقط.

أدوات البحث:

سيجمع الباحث الآيات القرآنية التي تناولت مجالات وجوانب البناء الإنساني وآلياته، فالقرآن الكريم هو المصدر الأساسي لهذا البحث، مع الاستئناس بالمصادر التفسيرية لفهم الآيات، كما سيستعين الباحث بمصادر أخرى لها علاقة بموضوع البناء القرآني للإنسان، والتي تتمثل في الكتب والمجلات والمقالات والرسائل الجامعية، وذلك اعتمادا على المنهج الاستقرائي التحليلي وتسجيل المراجع.

المبحث الأول: الجانب العقدي

يعتبر الجانب العقدي من أهم جوانب الإنسان؛ لأن تصرفاته وأفعاله تتم وفق التصورات والمفاهيم التي يؤمن بها الإنسان ويعتقدها؛ فالعقيدة هي الأساس الذي يتصرف وفقها الإنسان، فكل صلاح أو فساد في التصرف والسلوك والفعل والممارسة مرده إلى العقيدة، ففساد الرؤية هو نتيجة للمفاهيم المغلوطة والمنحرفة، كما أن وضوحها هو نتيجة للمفاهيم الصحيحة والصائبة.

ولما كان هذا الجانب بهذه الأهمية لا جرم أن كان أول جانب يخضع لعملية البناء القرآني؛ إذ هو الأساس المتين لما بعده، وهو الأصل الذي يقوم عليه غيره، فإذا كان الأساس هشًّا غيرَ قارٍّ؛ فأنى للبناء أن يثبت؟

المطلب الأول: أولوية العقيدة.

من خلال النظر في المنهج القرآني في بناء الإنسان وإصلاحه وتكوينه يلاحظ أن أول قضية يتعرض لها القرآن ويوليها عناية مركزة هي قضية العقيدة؛ إذ يسعى إلى معالجة تصورات الناس وصياغتها وفق صياغة سليمة، فإذا تم هذا الجانب من البناء فإن كلَّ بناء بعده سيكون أسهل وأحرى أن يثمر، وحين يثمر سيكون أثبت وأرسخ.

ولذلك نجد القرآن الكريم يزخر بالآيات التي تتحدث عن العقيدة والتي تقوم أساسًا على توحيد الخالق عز وجل، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣].

ومثلها تلك الآيات التي تدل على عظمة الله- عز وجل- وقدرته المطلقة على الخلق والإبداع وأنه الأولى بالعبادة: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾ [البقرة: ٢٨، ٢٩]، وغيرها من الآيات الكريمة التي

تدل على أن العقيدة تشغل حيّزًا كبيرًا في الخطاب القرآني[١].

فمعالم المنهج القرآني في بناء الإنسان تعلنها صراحة أن "كلَّ إصلاح لا بد أن ينطلق من العقيدة"[٢]، فلذلك نجد أن دعوة جميع الأنبياء كانت تركز على تصحيح العقائد وإبطال كل لون من ألوان الوثنية، والعمل على توجيه القلب والعقل إلى الله تعالى وربطهما به وحده، فلا يتعلقان بشيء سواه، ولا يلجئان إلا إليه[٣].

واستعراض نصوص القرآن الكريم يصدّق ويعزّز حقيقة أنه يولي العقيدة عناية كبيرة، فهو دائما يضع البناء العقدي الذي يعنى بأصول الإيمان وغيرها في المقام الأول، ثم يُتبعه بالجوانب الأخرى، ومن تلك النصوص قوله عز وجل: ﴿۞ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧]؛ فقد صدر الآية بأن حقيقة البر تتجلى في قضايا متعددة على رأسها القضايا العقدية.

ولذلك كان أول ما اعتنى به الأنبياء في دعوتهم إلى الله- عز وجل- وبنائهم للإنسان هو بناء الجانب العقدي، وقد اشتركوا جميعًا في ذلك، فلقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى

(١) وفي بيان كون العقيدة تشغل حَيّزًا كبيرًا في الخطاب القرآني؛ يقول عبد الحميد مدكور: «لا تكاد تخلو سورة من سور القرآن الكريم من حديث عن العقيدة في جانب من جوانبها، وينطبق على ذلك السور المكية والمدنية، والسور القِصَار والطِّوال، وهي تتناول أمور العقيدة في صور متنوعة: تعريفًا بها، أو عرضًا للبراهين الدالة على صدقها، أو مناقشة المخالفين لها، أو بيانًا لما يترتب على التصديق بها أو التكذيب لها من جزاء». مدكور، عبد الحميد، (٢٠٠٣م)، **تمهيد لدراسة علم الكلام**، (بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠٠٣)، ص٥٠.

(٢) مُحَمَّد نصير، آمنة، **إنسانية الإنسان في الإسلام**، (القاهرة: دار الشروق، ١٤٠٩، ١٩٨٩)، ص٣٥.

(٣) العماري، علي مُحَمَّد حسن، **من حديث القرآن عن الإنسان**، سلسة دعوة الحق، العدد ٢٢، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، ص١٠٢.

﴿كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء:٢٥]، وقال في موضع آخر: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾﴾ [النحل:٢].

وفي قصص الأنبياء مع أقوامهم مزيد بيان وتفصيل لعنايتهم ببناء الجانب العقدي وتأسيسه قبل أي جانب آخر، ولنستعرض ما ورد في سورة الشعراء مما ورد في دعوة الرسل لأقوامهم، فبدأت بقصة موسى- عليه السلام- مع فرعون؛ حيث إن أول ما دعاه إليه هو الإيمان بالله، وعرفه به- سبحانه وتعالى- حين سأله فرعون: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الشعراء:٢٣]، وتلتها قصة إبراهيم عليه السلام؛ حيث استنكر على قومه أن يعبدوا مع الله إلهًا آخر، وتبرأ مما كانوا يعبدون، ثم ذكر لهم أنه لا يعبد إلا الله عز وجل: ﴿قَالَ أَفَرَأَيْتُم مَّا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٥﴾ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [الشّعراء: ٧٥- ٧٧]، ثمَّ توالت بعد ذلك قصص نوح وهود وصالح ولوط وشعيب عليهم السلام، وكان بناء الجانب العقدي للإنسان محور دعوتهم، ولب بنائهم وإصلاحهم، فجميعهم رفعوا شعار: ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [المؤمنون:٣٢].

ولم يكن منهج رسولنا مُحَمَّد ﷺ في بناء الإنسان وتأسيسه مختلفًا عن منهج الرسل والأنبياء من قبله، قال صلى الله عليه وسلَّم: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، وَالْأَنْبِيَاءُ أَوْلَادُ عَلَّاتٍ؛ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**»(١)، وما منهجه في إعطاء الأولوية للجانب العقدي في عملية بناء الإنسان إلا امتداد لمنهج الرسل الذين سلفوا، فلقد كانت قضيته الجوهرية هي ترسيخ

(١) «(**أولاد عَلَّات**): هم الإخوة لأب واحد من أمهات مختلفة، والمعنى: أن شرائعهم متفقة من حيث الأصول، وإن اختلفت من حيث الفروع حسب الزَّمن، وحسب العموم والخصوص». البخاري، محمَّد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، (اليمامة- بيروت: دار ابن كثير. ط٣، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)، كتاب (الأنبياء)، باب ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾، ج٣، ص١٢٧٠، ر ٣٢٥٨.

العقيدة وتثبيتها في النفوس، فكانت هذه مهمته الأولى.

فلذلك ظل ثلاثة عشر عاما كاملة- طيلة الفترة المكية- يركز في بنائه للإنسان على الجانب العقدي، وبخاصة قضية الألوهية والعبودية.

فلما أُحكِم بناء الجانب العقدي في نفوس أتباعه- وذلك بعد الهجرة- انصرف البناء إلى الجوانب الأخرى مع الإبقاء على محورية العقيدة، وفي حديث معاذ ﷺ دلالة صريحة على هذا المنهج؛ فحين بعثه النبي ﷺ إلى اليمن قال له: «**فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيه أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ**"[1]، فهذه كلها شواهد على أن بناء الجانب العقدي يعتبر أولى أولويات البناء وأكثرها أهمية، فهو الأساس والأصل الذي يبنى عليه غيره.

ولعل سائلًا يسأل عن سبب تقديم القرآن الكريم للجانب العقدي في عملية البناء الإنساني، وشدة حرصه على سلامة التصورات والمفاهيم التي يعتقدها الإنسان.

في الحقيقة لقد تمت الإجابة عن هذا التساؤل في بداية هذا المطلب ولكن بشكل عام؛ وهو أن كل تصرفات الإنسان وأفعاله تصدر من منطلق معين، وهذا المنطلق هو العقيدة، فصلاح التصرفات أو فسادها مرهون بصحة أو فساد عقيدة الإنسان وتصوراته، فإذا أدركنا هذه الحقيقة كان لزاما على من يريد خوض غمار البناء الإنساني بصدق وجَدٍّ أن يبدأ ويركز على تصحيح العقائد والتصورات، إذ هي مربط الفرس وبصلاحها يصلح ما بعدها.

وقد أشارت أم المؤمنين عائشة ﷺ إلى هذا المنهج في البناء أثناء حديثها عن نزول القرآن فقالت: «إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ (القرآن) سُورَةٌ مِنْ الْمُفَصَّلِ فِيهَا ذِكْرُ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الْإِسْلَامِ نَزَلَ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ لَا تَشْرَبُوا الْخَمْرَ؛ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الْخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ لَا تَزْنُوا؛ لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا»[2]، فواضح جدًّا أن القرآن الكريم يراعي

(١) المرجع نفسه، كتاب (التوحيد)، باب (ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى التوحيد)، ج٦، ص٢٦٨٥، ر ٦٩٣٧.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب (فضائل القرآن)، باب (تأليف القرآن)، ج٤، ص١٩١٠، ر ٤٧٠٧.

الأولويات في عملية بناء الإنسان؛ حيث يعالج تصورات الإنسان ومعتقداته أولًا، حتى إذا استقامت صار الإنسان مهيئًا للشروع في عملية بناء الجوانب أخرى(١).

المطلب الثاني: التصورات والمفاهيم العقدية:

وبعد استعراض أهمية الجانب العقدي وأولويته في عملية البناء الإنساني في ضوء القرآن، وإبراز السبب وراء هذه العناية بهذا الجانب، يجب بيان التصورات والمفاهيم العقدية التي يركز عليها القرآن في بناءه للإنسان.

يسعى القرآن إلى تأسيس تصورات أساسية وبناء مفاهيم كبرى، تدور عليها جميع القضايا الأخرى، لتكون بمثابة الحاكم والموجه للسير الإنساني في هذا الوجود، ويمكن تلخيص هذه المفاهيم والتصورات فيما يلي(٢):

أ- بيان أصل الإنسان: بتعريفه بأصله، وأن الله خلقه من تراب ثم من نطفة ثم سواه على الشكل الذي هو عليه الآن.

ب- ووجهته: أنه ذاهب إلى ربه.

ج- ووظيفته: وهي عمارة الأرض، وممارسة عمران الاستخلاف القائم على الإصلاح في الأرض لا الإفساد.

د- والغاية من وجوده: وهي عبادة الله عزّ وجل وحده والامتثال لأوامره.

وهذا لب ما كان يدعو إليه جميع الأنبياء والرسل، حيث كانوا يعرفون أقوامهم بخالقهم،

(١) **ومن الأمثلة على ذلك**: أنَّ النبي- ﷺ- اشتغل ببناء عقيدة الناس ودعوتهم إلى نبذ الشرك طِوَال هذه الفترة؛ فقام بكسر الأصنام في قلوبهم وعقولهم أَوَّلًا، ثم قاموا بكسرها في الواقع لاحقًا.

(٢) «ولا بدُّ من البدء بالعقيدة من تعريف الناس بإلههم الحقِّ، وبحقيقة وجودهم على هذه الأرض، والمهمة المنوطة بهم إبَّان مرورهم بهذه الدُّنيا، ومن المسئول عنهم؟ أيُّ منهاج يجب أن يحكمهم؟ صلة هذا الإنسان بالكون من حوله؟ مكانة هذا الكائن من الكون، وبعبارة أقصر: إقرار جلالة الله ورهبته وهيبته في أعماق قلب الإنسان، وطريقة الوصول إلى رضاه». عزام، عبد الله، **العقيدة وأثرها في بناء الجيل**، (اليمن: مكتبة الجيل الجديد، ط١، ١٩٩٢)، ص١٦.

وبأنه خلقهم لأداء دور وظيفي محدد؛ وهو عمارة الأرض وممارسة فعل الاستخلاف، وبأن أداء هذا الدور يكون تحت عباءة العبادة لا يخرج عنها قيد أنملة.

فإذا فقه الإنسان هذه التصورات وفهمها على وفق ما بينها القرآن وفصلها، فإنه سيكون على استعداد مطلق لتلقي التعاليم الربانية، ويعمل جاهدًا للثبات على الطريق الذي رسمه له الله عز وجل، كما أن عملية بناء الجوانب الأخرى ستكون سهلة ويسيرة ومثمرة، وبالمقابل؛ فإن فساد الاعتقاد والتصور لدى الإنسان سيقف عائقا أمام بناء الجوانب الأخرى، فمن لم يستوعب تلك الحقائق الكبرى من مأتى ووجهة ووظيفة وغاية ولم يتلقها بالقبول، فإن بناءه العقديَ لن يتأسس، وإن تأسس فسيكون ناقصًا، وبقدر النقص في الاستيعاب والتلقي يكون النقص في البناء، وبما أن البناء العقدي للإنسان هو أساس كل بناء كما سبق، فإن نقصه وفساده سيؤثر بطبيعة الحال على بقية جوانب البناء الأخرى؛ فإنَّ "الشّيء متى فسدت عِلَّته واختلَّ بدؤه لم يلحقه الصلاح أبدًا"[(١)].

فمن خلال ما سبق يتأكد لنا أن القرآن الكريم يجعل الجانب العقدي في بناء الإنسان وإصلاح تصوراته أَوَّلَ خطوة في طريق البناء، لا يمكن الانتقال لغيرها إلا بعد الانتهاء منها، فالجانب العقدي هو الركيزة التي لا تقوم جوانب البناء إلا عليها.

(١) العامري، أبو الحسن، **الإعلام بمناقب الإسلام**، تحقيق: أحمد عبد الحميد غراب. (الرياض: دار الأصالة للثقافة والنَّشر والإعلام، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م)، ص ١٢٣.

المطلب الثالث: آليات بناء العقيدة:

وفي هذا المقام أعرض بشكل مختصر بعض آليات بناء العقيدة في القرآن الكريم(١):

أ- **المنهج الفطري أو الوجداني**: وهو مخاطبة الله- عز وجل- للإنسان عن طريق فطرته واستثارة عواطفه؛ ليحرك إحساسه بالقضايا العقدية والإيمانية وعلى رأسها توحيد الله عز وجل، كما يصرف عن الفطرة كل ما يحول بينها وبين الطريق السوي، ويسلك القرآن في استثارة فطرة الإنسان ووجدانه مسالك شتى ومتعددة؛ كحديثه عن الكون وروعته، وعن قدرة الله- تعالى- المطلقة كما في الآية الكريمة: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الرعد: ٣، ٤]، وغيرها من المسالك والطرق التي تعتبر كفيلة بجعل الإنسان يستشعر العقيدة ويعيشها ويحس بها تتغلغل في أعماق ذاته.

ب- المنهج العقلي: وهو مخاطبة الله- تعالى- لعقل الإنسان، فلا يقتصر على مجرد الإخبار عن وجود الله ووجود حياة أخرى بعد الموت وغيرها من القضايا، بل يقيم عليها البراهين العقلية لتكون أبلغ وأشد في الإقناع، حتى إن صاحب المنطق السوي والعقل السليم سيخضع لها، فهكذا منهج القرآن يجمع بين الأدلة السمعية والعقلية، ومن ذلك قوله- تعالى- في الاستدلال على وحدانيته بالدليل العقلي المنطقي: ﴿مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١].

(١) ضميرية، عثمان جمعة، **العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم (المنهج والأركان والخصائص)**، (سلسلة دعوة الحق، ١٤٣٢هـ)، ص٢٦.

ج- **منهج الجدل والرد على الانحرافات:** وذلك من خلال الرد على أصحاب العقائد الفاسدة والتصورات الباطلة كاليهود والنصارى ومشركي العرب، حيث يبين لهم هذا الفساد، ويرد عليهم شبهاتهم، ويقيم عليهم الحجة، ومن خلال هذا الرد تضمحل تلك الشبهات والتصورات الفاسدة، فتتضح معالم العقيدة الصحيحة التي تتماشى مع المنطق والعقل السليم، ومن الآيات التي تنحوا هذا المنحى- وهي كثيرة- رد الله- عز وجل- على شبهة اليهود القائلين بأن الله تعالى لم ينزل كتابًا على بشر؛ وذلك حتى ينكروا نبوة مُحَمَّد ﷺ؛ فقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ ۖ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا ۖ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓاْ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأنعام: ٩١].

المبحث الثاني: الجانب الروحي والتعبدي:

المطلب الأول: مفهوم التزكية والبناء الروحي:

من بين أهم الجوانب التي يعمل القرآن على بنائها في الإنسان: هو الجانب الروحي، فبالاهتمام بهذا الجانب- بالإضافة إلى الجوانب الأخرى- تزكو النفس الإنسانية وتصبح مهيئة ومؤهلة لأداء وظيفتها العمرانية، وبناء النفس يتم عن طريق التزكية التي تعتبر أحد مقاصد الوحي المباشرة ومهمة الرسل[١]، وبالخصوص نبينا مُحَمَّد ﷺ[٢]، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، وقوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَـٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، وقد جاء في دعاء أبينا إبراهيم وإسماعيل- عليهما السلام- ذِكر هذا المقصد: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وليس أدل على معنى تزكية النفس وبناء جانبها الروحي من الآيات الكريمة في سورة الشمس وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشّمس: ٩]، أي: أفلح من زكى نفسه بإتيان ما يقربه من الله- عز وجل- بفعل الطاعة وصالح الأعمال واجتناب كل ما يغضب الله سبحانه وتعالى، وقد خاب من دس نفسه بارتكاب المعاصي والآثام[٣]، فبالتزكية فقط يمكن للنفس الإنسانية أن تبلغ أعلى درجات السمو الإنساني.

فجوهر عملية تزكية النفس- كما أشار إليه الإمام الغزالي- هو رقي بالنفس مرتبة مرتبة،

---

(١) لما دعا سيدنا موسى عليه السلام فرعون قال له: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ [النّازعات: ١٨].

(٢) **مفهوم التزكية في القرآن**، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ٨ أوت ٢٠١٦.
http://arabic.iiit.org/Default.aspx?tabid=71&articleType=ArticleView&articleId=22

(٣) القرطبي (١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م)، مصدر سابق، أبو عبد الله القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**. (القاهرة: دار الكتب المصرية. ط٢، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م)، ج٢٠، ص٧٧.

من السيء إلى الحسن، ثم إلى ما هو أحسن حتى تصل إلى أسمى وأرقى مستويات الإنسانية، فتتحول إلى نفس مطمئنة بعد أن كانت نفسا أمارة أو لوامة[١]، فهي عملية تقوم على التخلية والتحلية، تخل عن السيء والفاسد وتحل بالجيد النافع[٢]، والمقصد الأكبر من وراء التزكية: هو إيجاد الصلة الوثيقة بالله- عز وجل- وتعزيزها، والوصول بالإنسان إلى مقام استحضار معية الله- عز وجل- في كل حال، وقد فسر النبي ﷺ تزكية النفس بهذا المعنى فقال: "**أَن يعلمَ أنَّ الله عزّ وجلَّ معه حيثُ كان**"[٣]، وقد جاء ذكر هذه المعية في القرآن الكريم حيث قال تعالى: ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد: ٤]، ومعلوم ما لهذه الصلة من أثر إيجابي كبير على الإنسان، سواء على المستوى الذاتي أو على مستوى مهمته الوجودية المتمثلة في عمران الاستخلاف.

وتتمثل أهمية الجانب الروحي وتزكية النفس في معادلة البناء الإنساني والتأسيس العمراني في ضوء القرآن الكريم في كونه إعدادا للإنسان في ذاته وتهيئة له على تحمل رسالته العمرانية في الوجود، تمامًا كما حصل مع نبينا مُحَمَّد ﷺ حيث تمَّ تكوينه وتهيئته روحيًّا في بدايات دعوته وقبلها، من خلال أمره بقيام الليل: ﴿ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [المزّمل: ٢]؛ لأن هذه الأعمال

(١) جوهر عملية التزكية: الارتقاء بالنفس درجة درجة، من السيئ إلى الحسن، ثم ترقيها في مراتب الحسن والصفاء حتى تبلغ أعلى المستويات الإنسانية وأسماها؛ فتتحول من نفس أمارة بالسوء أو لوامة إلى نفس مطمئنة راضية عن ذاتها، مرضية عند مولاها وربها. **تزكية النّفس.. معناها، حكمها، الحاجة إليها**. الشَّبكة الإسلامية.
https://articles.islamweb.net/media/print.php?id=145336

(٢) **وقد قسَّم القشيري السعي في التزكية إلى أقسام:**

الأول: السعي في تزكية النفس وتطهيرها، ونتيجته: النهوض للعمل الصالح الذي يَستوجب صاحبه نعيمَ الجنان.

الثاني: السعي في تصفية القلب من صَداء ظلمات البشرية، وغطاء عورات الطبيعية، ونتيجته: صحته من الأمراض القلبية؛ كحب الدنيا والرئاسة والحسد، وغير ذلك؛ ليتهيأ لدخول الواردات الإلهية.

ابن عجيبة، أبو العباس، **البحر المديد في تفسير القرآن المجيد**، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، (القاهرة: حسن عباس زكي، ١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، ج٥، ص٥١٥.

(٣) الطبراني، أبو القاسم، **المعجم الصَّغير**، (بيروت- عمان: المكتب الإسلامي، دار عمَّار، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، ج١، ص٣٣٤.

كفيلة بتزكية نفسه وتطهيرها وترقيتها، فيثمر عن هذه العملية توطد علاقته وصلته بالله- عز وجل- من إخلاص ومحبة وخوف ورجاء وغيرها من أعمال القلوب التي تجعله قادرا على تحمل أعباء الرسالة وأدائها على وجهها الأكمل.

فعلاقة الإنسان بالله- عز وجل- هي القوة الداخلية التي تدفعه في دروب الحياة والتي تصبره على طريق البناء، وتذلل له الصعاب والعوائق في ممارسته للفعل العمراني، ومن الأدلة على هذه الحقيقة الموقف الشامخ الذي وقفه موسى- عليه السلام- حين تبعه فرعون بجنوده وحاصره عند البحر، أيقن قوم موسى حينها بالهلاك، أما هو فقال بلغة الواثق المستحضر معيّة الله عزّ وجلّ: ﴿كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ﴾ [الشّعراء: ٦٢]، فهذا الثبات المكلل بالفرج الذي كان موسى موقنًا به هو نتيجة ذلك الإعداد الروحي الذي خضع له موسى- عليه السلام- حين أمره الله- عز وجل- فقال: ﴿وَٱجۡعَلُواْ بُيُوتَكُمۡ قِبۡلَةٗ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَۚ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧]، ولما كان النبيُّ ﷺ يتعرض للمضايقات والتكذيب من كفار قريش، وكان لذلك أثره السيئ على نفسيته مما قد يؤثر سلبيًّا على أدائه في مهمته الوظيفية، كان الله- عز وجل- يأمره بتزكية نفسه وتقوية جانبه الروحي، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ٩٧ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ٩٨ وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٧، ٩٨، ٩٩]، وهذا كان صنيع النبي ﷺ، فقد ثبت أنه كان إذا حزبه أمر صَلَّى[(١)]، أو قال: «**يا حَيّ، يا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**»[(٢)]، فهذه النصوص وغيرها تدل على أن

(١) عن حذيفة قال : «كَانَ النَبِيُّ- صَلَى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ صَلَّى». السجستاني، أبو داود، **سنن أبي داود**، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، كتاب (الصلاة)، باب (وقت قيام النبي ﷺ في الليل)، ج١، ص ٤٢٠. ر ١٣١٩.

(٢) عن ابن مسعود- رضي الله عنه- قال : «كان رسول الله- صلى الله عليه وسلم- إِذَا نَزَلَ بِهِ هَمٌّ أَوْ غَمٌّ قَالَ: «**يَا حَيُّ يا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**». الحاكم، أبو عبد الله، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م)، كتاب (الدعاء والتكبير والتهليل والتسبيح والذكر)، ج١، ص٦٨٧، ر ١٨٧٥.

الإعداد الروحي الذي يصل العبد بربّه هو من أعظم ما يحقق التوازن النفسي عند الإنسان ويربط على قلبه ويثبته في أداء مهمته الوجودية.

فبناء الجانب الروحي يساعد على حمل الأثقال، ويروض النفس على تحمل المشاق والقيام بالوظائف، كما يجعلها خفيفة في سيرها إلى الله عزّ وجلّ، أما النفس المثقلة بأدران الآثام والمعاصي فإنها ستكون عاجزة- لا محالة- عن القيام بدورها الوظيفي، ولن تقدر على النهوض بأعباء الرسالة، وستفشل عند أول تحد تتعرض له.

وننقل هنا نصا للبوطي- رحمه الله تعالى- يبين فيه أن تزكية النفس شرط أساسي في أداء العمران: «وليست تزكية النفس بدورها إلا الشرط الأساسي لتحمل الإنسان مسؤولياته الحضارية بصدق وجد، فبمقدار ما تتزكى النفس وتصفو من كدورات الأهواء والرعونات يخلص صاحبها في تحمّل كلّ ما يجب أن يتحمله في سبيل بني جنسه من المهام والواجبات المختلفة، وبمقدار ما تنطوي تلك النفس على شوائبها ورعوناتها يغدو صاحبها مجرّد أداة للإفساد في الأرض، ولإهلاك الحرث والنّسل؛ ابتغاء مصالحه وأهوائه الشخصية، مهما تحلّى ظاهره بالصفات الحميدة والأخلاق الفاضلة"[(١)].

ولما كان الجانب الروحي بتلك الأهمية، لا جرم نجد القرآن الكريم يصف العباد المؤمنين

(١) البوطي، محمد سعيد رمضان، **منهج الحضارة الإنسانية في القرآن**، (دمشق: دار الفكر، ط٣، ١٩٩٨م)، ص٢٤.
ويقول الأصفهاني في هذا السياق: «لا يصلح لخلافة الله ولا يكمل لعبادته وعمارة أرضه، إلا من كان طاهر النفس، قد أزيل رجسها ونجسها، فللنفس نجاسة كما أن للبدن نجاسة، لكن نجاسة البدن قد تدرك بالبصر، ونجاسة النفس لا تدرك إلا بالبصيرة، وإياها قصد تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾، ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾، ﴿كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾، وإنما لم يصلح لخلافة الله إلا من كان طاهر النفس؛ لأن الخلافة هي الاقتداء به تعالى على الطاقة البشرية في تحري الأفعال الإلهية، ومن لم يكن طاهر النفس لم يكن طاهر القول والفعل... ولهذا قيل: مَن طابت نفسه طاب عمله، ومن خبثت نفسه خبث عمله، وقال عليه الصلاة والسلام: «**المؤمن أطيب من عمله، والكافر أخبث من عمله**». الأصفهاني، الراغب، **الذريعة إلى مكارم الشريعة**، (القاهرة: دار السلام، ١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، ص٢٠.

بأنهم في بناء روحي متواصل وفي تزكية دائمة، فغالبًا ما يذكرهم ويصفهم بأنهم يقبلون على كل ما يزيد من ارتباطهم بربهم وصلتهم به؛ ككونهم محافظين على الصلاة، وأنهم مؤتون للزكاة، كما يصفهم بأنهم يجتنبون كل ما يفسد صلتهم بربهم أو يقف عائقا دون تحقق تلك الصلة كاجتناب الفواحش، وأنهم إذا ارتكبوا فاحشة فسرعان ما ينيبون إلى ربهم، فقلوبهم دائمة التعلق بالله عز وجل؛ محبة وخشية وتوكلًا وخوفًا ورجاء وتوبة، مع التحقق بصفة التقوى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٢، ٣، ٤]، كما يشير في موضع آخر إلى أن الاهتمام بالمكون الروحي من أهم الأسباب التي تجلب معية الله عز وجل: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ۖ لَئِنْ أَقَمْتُمُ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَيْتُمُ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة: ١٢].

فتزكية النفس وبناء جانبها الروحي يحتاج مجاهدة ومكابدة للإنسان مع نفسه لضبط شهواتها ونزواتها حتى يرغمها فتصبح ذليلة مستسلمة لله عز وجل، تمتثل لأوامره وتنتهي بنواهيه في كل الأمور، وهذه هي العبادة.

وتعتبر العبادات- الظاهرة والباطنة- التي شرعها الله- عز وجل- الأصل الأصيل الذي يقوم عليه البناء الروحي للإنسان، كالصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها من العبادات، والتي تساهم بشكل مباشر في تزكية النفس وتطهيرها وترقيتها، وهذا واضح في مواضع كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وبيَّن أن من أهم أهداف الصوم التحققَ بأحد العناصر الأساسية للبناء الروحي والمتمثل في التقوى، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فالغرض من العبادات أساسًا هو تزكية النفس لخلق وإيجاد صلة وطيدة بالله عز وجل، الذي هو غاية الخلق أصلًا، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، فلا يتصور ولا يعقل أن يتم بناء الإنسان روحيًّا، وأن يتم تزكية نفسه وترقيها

لتتصل بخالقها إذا سلك طريقًا غير طريق العبادات التي شرعها الله عز وجل.

فلذلك يكثر القرآن من الحث على العبادة وأدائها على الوجه الذي تأتي معه الثمرة، كما في قوله تعالى: ﴿ قُل لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُنفِقُواْ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ ﴾ [إبراهيم: ٣١].

فتلك العبادات ترتقي بالإنسان وتطهره من العوائق والصوارف والشواغل، كما أنها كفيلة بمداواة جميع أمراض الإنسان؛ كالصفات السلبية والأخلاق الدنية والطبائع الفاسدة التي تتعلق به وتصرفه عن هدفه كما الشأن في صفة الهلع(١)، حيث ذكر القرآن أن الإنسان خلق هلوعًا، وأن هناك صنفًا واحدًا من الناس مستثنى ومعافى وسليم من هذا المرض العضال؛ وهم المصلّون الذين هم في تزكية دائمة لأنفسهم، سواء على مستوى التحلية؛ وذلك بأداء العبادات كالصلاة وإخراج الصدقة، أو على مستوى التخلية؛ كاجتناب الفواحش، فتلك الأمراض لا تزول إلا بتزكية النفس من خلال العبادات المتنوعة.

ومما يدل على كون البناء الروحي من أهم جوانب بناء الإنسان وربطه بالعبادات هو أنه أصل أصيل في الأمم قبلنا، ولذلك نجد الله عز وجل فرض عليهم عبادات لخدمة هذا الجانب كالصلاة والصوم والحج وغيرها، كما في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة:١٨٣]، وأثنى الله عز وجل على إسماعيل- عليه السلام- بأنه كان يأمر أهله بالصلاة والزكاة(٢)، ومما ورد في وصية لقمان لابنه حثه

(١) ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴾ [المعارج: ١٩-٣٤].

(٢) مريم: ٥٥.

على إقامة الصلاة[١]، فالتزكية أمر مهم في البناء الإنساني وتأهيله الوظيفي، وهو أمر قديم وأصيل ومحوري.

المطلب الثاني: آليات بناء الجانب الروحي:

سبق- وأن بينا- أن المقصود بالجانب الروحي: هو تلك الصلة بين العبد وربه، وبناء هذا الجانب في الإنسان وتأسيسه يكون عن طريق تزكية النفس؛ وذلك من خلال وسائل التربية الروحية والمتمثلة أساسًا في العبادات، وفيما يلي عرض لأهم الآليات التي انتهجها القرآن في بناء الجانب الروحي للإنسان:

أ- العناية بالقلب (أعمال القلوب): يعتبر القلب مركز البناء الروحي؛ إذ صلاح الإنسان وفساده متوقف عليه ومرتبط به، كما قال النبي ﷺ: «**أَلا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِنْ فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ؛ أَلا وَهِيَ الْقَلْبُ**»[٢]، وما من عبادة إلا وعمل القلب فيها حاضر، وأبرز مثال على ذلك هو الإخلاص، الذي يعتبر شرطا أساسيا في قبول الأعمال، وهو عمل قلبي محض، فأول ما يجب على الإنسان في بنائه لنفسه روحيا أن يهتم بقلبه، فهو في حاجة إلى تربية ورياضة متواصلة؛ وذلك بعرضه على ما ينفعه ويصلحه حتى يرقى به إلى درجات الكمال، وفي نفس الوقت يمنع عنه كل ما يضره ويؤذيه[٣]، ولأهمية الأعمال القلبية وعظيم مقامها اعتبرت من أصول الدين وقواعد الإيمان، منها: محبة الله- عز وجلّ- ورسوله ﷺ، والتوكل على الله والإخلاص له، والشكر له، والصبر على حكمه، والخوف منه والرجاء له، وغيرها[٤]، فعلى الإنسان أن يعالج قلبه ويروضه ليصبح سليمًا صافيًا ومقبلًا على الله عز وجل، ويطهره من الأدران التي تجعله سقيمًا.

(١) لقمان: ١٧.

(٢) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب (الإيمان)، باب (فضل من استبرأ لدينه)، ج١، ص٢٨، ر ٥٢.

(٣) أحمد ابن تيمية، **أمراض القلوب وشفاؤها**، (القاهرة: المطبعة السلفية، ط٢، ١٣٩٩هـ)، ص٥.

(٤) ابن تيمية، **أمراض القلوب وشفاؤها**، ص٤٥.

ب- إقامة الصلاة: فهي من أعظم سبل بناء الجانب الروحي وتزكية النفس، حيث اقترن ذكرها في القرآن بتزكية النفس، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّىٰ﴾ [الأعلى:١٤، ١٥]، ولعظم مكانة الصلاة كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَسْلَمَ الرَّجُلُ أَوَّلُ مَا يُعَلِّمُه الصَّلاةَ.

والصلاة صلة بين العبد وربه، وهذه الصلة هي أكبر ثمرة للبناء الروحي، فمن أداها فقد حافظ على الصلة بينه وبين الله عز وجل، ومن تركها فقد قطع تلك الصلة.

والصلاة كفيلة بتطهير النفس وتزكيتها وترقيتها، فقد قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**أرأيتم لوْ أنَّ نهرًا ببابِ أَحَدِكُم يغتسلُ منهُ كلَّ يومٍ خمسَ مراتٍ، هل يبقى من دَرَنِهِ شيء؟**». قالوا: لا يبقى من دَرَنِهِ شيءٌ، قال: «**فَذَلِكَ مَثَلُ الصَّلَوَاتِ الخَمْسِ يَمْحُو اللهُ بِهِنَّ الخَطَايَا**"[(١)]، فلذلك يلاحظ أن الله- عز وجل- فرضها على الناس خمس مرات في اليوم والليلة حتى يبقى الإنسان في تزكية مستمرة متواصلة على مدار اليوم والأسبوع والسنة بدون انقطاع، ويبقى على صلة دائمة بربه عز وجل، لا يقطعها حتى ولو صلى بالتيمم أو صلى جالسا أو إيماء.

ومن أعظم ما يبنى به الجانب الروحي هو صلاة الليل، لما لها من أثر كبير في تزكية النفس ومساهمتها المباشرة في ربط الإنسان بالله عز وجل، حيث إنه يتغلب على هواه فيترك نومه في عز الحاجة إليه ويقوم ليقف بين يدي الله- عز وجلّ- وحده في هدأة الليل، فيناجيه ويستشعر قربه ومعيته، فهذا من أعظم الإعداد الروحي الذي يساهم في توازن النفس وتثبيتها على طريق العمران ووظيفة الإنسان الوجودية، فلذلك كان من أوائل ما نزل على رسول الله

(١) البزار، أبو بكر، **مسند البزَّار**، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، (بيروت: مؤسسة علوم القرآن، ١٤٠٩هـ)، ج٧، ص١٩٧.

ﷺ الأمر بقيام الليل؛ لأن فيه إعدادًا روحيًّا له يجعله أكثر قدرة على تحمل أعباء الرسالة وأثقال الدعوة؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ۝١ قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ۝٢ نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ۝٣ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا﴾ [المزمل: ١-٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا﴾ [الإنسان: ٢٦].

جـ- قراءة القرآن الكريم وتدبره: ومن أعظم سبل بناء الجانب الروحي قراءة القرآن الكريم وتدبره؛ إذ القرآن يهدي للتي هي أقوم في كل المجالات والجوانب، والجانب الروحي أحدها، ففيه تعريف مفصل بالله- عز وجل- من خلال أسمائه وصفاته، وفيه بيان لمحابِّه ومكارهه سبحانه وتعالى، وتوجيه لكيفية خلق وإيجاد العلاقة مع الله عز وجل، وذلك ببيان طرق تزكية النفس والاعتناء بالقلب وما يصلحه من حب وخوف وإخلاص ورجاء وخشية وتوكل وشكر وصبر وكل ما هو كفيل بحفظ تلك العلاقة وتعزيزها والرقي بها، فالقلوب تصدأ وجلاؤها تلاوة القرآن الكريم.

وننقل في هذا السياق كلامًا جميلًا لابن القيم يبين فيه أثر تلاوة القرآن الكريم، وتدبر آياته في تزكية النفس، وبناء العلاقة بالله عز وجل، والتأسيس للجانب الروحي- ذكر أن تلاوة القرآن: «تُعَرِّفه ذاته (تعالى) وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكيه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها، وتعرّفه النّفس ومفسدات الأعمال ومصححاتها... وتميّز له بين الحقّ والباطل في كل ما اختلف فيه العالم؛ فتريه الحقَّ حقًّا والباطلَ باطلًا، وتعطيه فرقانًا ونورًا يُفَرِّقُ به بين الهدى والضَّلال والغَيِّ والرَّشاد، وتعطيه قوَّةً في قلبه وحياة وسعة وانشراحًا وبهجةً وسرورًا، فيصير في شأنٍ والناسُ في شأنٍ آخرَ»[(١)].

(١) مسلم بن الحجاج، أبو الحسين، **صحيح مسلم**، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، كتاب (المساجد ومواضع الصلاة)، باب (المشي إلى الصلاة تمحى به الخطايا وترفع به الدرجات)، ج١، ص٤٦٢، ر ٢٨٣.

د- التدبر في الكتاب المنظور: ومن طرق بناء الجانب الروحي القراءة في الكتاب المنظور والذي يتمثل في هذا الكون، وذلك بالتأمل في كيفية صنعه المتميز بالدقة البالغة وعظمة خلقه البديع، فيشاهد المتأمل تحرك الكون وسيره في نظام محكم ومتقن دون أن يتطرق إليه خلل أو يعروه نقص، فيوقن بأن خالق هذا الكون عظيم جدا جدا، فيوقن أنه ما خلَق هذا باطلًا سبحانه؛ فيستشعر جبروت الله ولطفه في نفس الوقت، فيلجأ إليه ويزداد قناعة بحاجته إليه فيحبه ويعظمه ويخشاه ويرجوه.

وقد نقل القرآن الكريم صورة لصنف من الناس أعملوا عقولهم في الكتاب المنظور وتفكروا فيه تفكرًا صادقًا وعميقًا، فأثمر ذلك التفكر سموا روحيا في العلاقة بالله- عز وجل- تبدو فيه النفوس منطرحة ومنكسرة بين يدي خالقها، متصفة بكلّ صفات الافتقار والمسكنة أمام ملك الملوك سبحانه وتعالى، ترجوه وحده وتخافه وحده وتطمع فيه ولا تطمع في أحد سواه، رضاه غاية أمرها، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِى لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩٤].

فالثمرة الكبرى من التدبر والتأمل في الكون: هو التعرف على الله عزّ وجلّ، واستشعار معيته؛ فيقصد الإنسان إلى العمل فيُحسنه ويزينه؛ لأنه سيعرضه على ذي الجلال، ويهجر الذنوب والمعاصي؛ لأنها تقطعه عن خالقه، ويفر منها خوفًا من عقاب الله وبطشه، فلو تفكر الإنسان في عظمة الله ما عصاه(١).

(١) ابن قيم الجوزية، شمس الدين؛ أبو عبد الله، **مدارج السالكين بين منازل**: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، (بيروت: =

فهكذا يجب أن يتم بناء الإنسان روحيًّا، بأن يكون على صلة دائمة ومستمرة بالله عز وجل، مستشعرًا معيته في حركاته وسكناته كلّها، مجسدًا قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ**﴾ [الأنعام: ١٦٢]، ومقتديًا بالنبي ﷺ إذ يقول: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**"[(١)]، فحياته تتمحور كلها على الله عز وجلّ، محبة ورغبة ورهبة، خوفا ورجاء، صبرًا وشكرًا، توكلًا وتفويضًا، ولا يقوم بأي شيء إلا والله- عز وجل- حاضر في ذهنه.

فإذا تم بناء الجانب الروحي وفق هذه الخصائص فإن الإنسان سيعرف توازنا نفسيا في ذاته، كما سيجد في نفسه قوة كبيرة تدفعه لتحمل أعباء المهمة المنوطة به، وتثبته أمام العوائق والصعاب التي تواجهه في طريق الاستخلاف العمراني.

=

دار الكتاب العربي، ط٢، ١٩٩٣هـ، ١٩٧٣م)، ج١، ص٤٥١، ٤٥٢.

(١) الحنبلي، ابن رجب، **لطائف المعارف فيما لمواسم العام من وظائف**، تحقيق: ياسين محمد السواس، (دمشق- بيروت: دار ابن كثير، ط٥، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، ج١، ص٥٧١.

المبحث الثالث: الجانب المعرفي والعلمي:

ومن الجوانب المهمة التي يعمل القرآن الكريم على بنائها وتأسيسها في الإنسان: الجانب المعرفي والعلمي، حيث إن هذا الجانب يعتبر من أوائل ما أسسه القرآن الكريم في هذا المخلوق، ويشهد لذلك أمران:

الأول: يتمثل في قصة الإنسان الأول الذي هو آدم عليه السلام، فبعد أن خلقه الله- عز وجل- كان من أول ما زوده به- سبحانه وتعالى- العلم والمعرفة: ﴿ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ﴾ [البقرة:٣١].

والأمر الثاني: يتمثل في أول آية قرآنية نزلت، فبعد انقطاع الوحي لمدة طويلة- حوالي ستمائة سنة- كان أول تواصل مع الإنسان- النبي مُحَمَّد ﷺ- أمر باكتساب العلم والمعرفة؛ لتنشأ صلة بينه وبينهما، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَـٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق:١- ٥].

ويلاحظ أن الآية جاءت بصيغة الأمر الذي يفيد الوجوب، فتأسيس الجانب المعرفي والعلمي للإنسان يعتبر أحد المقومات الأساسية لبناء الإنسان في منظور القرآن الكريم.

ويمكن أن نلاحظ أمرًا آخر؛ وهو أن آدم- عليه السلام- كان أول إنسان أنيطت به مسؤولية عمارة الأرض والقيام بمهمة الاستخلاف، وكان العلم أحد الركائز الكبرى التي جعلته مؤهلا للقيام بهذه المهمة، وفي نفس الوقت، لما تلقى النبي ﷺ مسئولية العمارة ومهمة الاستخلاف، كان العلم أول ما أُمرَ به لا على سبيل الندب والاستحباب بل على سبيل الأمر والوجوب، وفي هذا دلالة واضحة على أن الجانب المعرفي والعلمي يعتبر من أهم المقومات والركائز التي يتأسس عليها العمران.

فالإنسان في التصور القرآني المتكامل كائن متميز، يهتم بالعلم والمعرفة ويقبل عليهما

ويحتفي بهما ولا يوليهما ظهره؛ إذ بالعلم يمكنه ممارسة دوره الوظيفي[١].

المطلب الأول: أهمية الجانب المعرفي:

يعتبر بناء وتأسيس الجانب العلمي والمعرفي للإنسان أحد أهم المقاصد من إنزال القرآن الكريم، ويتجلى ذلك في قوله تعالى: ﴿كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة:١٥١]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران:١٦٤]، فمن خلال هاتين الآيتين يتضح جليًّا أن الإنسان كان يعيش حالة من الجهالة المعرفية العلمية والتيه الفكري على جميع المستويات، سواء على مستوى التصور والمفاهيم، أو على مستوى التطبيق والممارسة، فبعث الله النبي ﷺ ليخرج هذا الإنسان من حالة الجهالة المعرفية تلك؛ وذلك ببنائه وتكوينه علميًّا ومعرفيًّا من خلال القرآن الكريم.

وتكمن أهمية بناء الإنسان معرفيا وعلميا في نقطتين رئيستين:

أ- تشكيل الوعي (على مستوى الوعي والتصور): فبالعلم والمعرفة المستخلصين في ضوء القرآن الكريم يتمكَّن الإنسان من صياغة التصور السليم والمتكامل حول قضايا أساسية ومركزية متعلقة تعلقًا مباشرًا بنفسه وذاته، وتتمثل تلك القضايا في معرفة الإنسان لذاته وحقيقتها من حيث المصدر والوجهة والمصير والغاية، ومعرفته لخالقه، ومعرفته للكون الذي يعيش فيه، ثم تحديد العلاقة التي تجمعه بالله- عز وجل- وبالكون، فلن يتمكن إنسان من معرفة الله- تعالى- وبالتالي تأسيس وإنشاء العلاقة التي تربطه به من دون مُقَوِّمِ العِلم.

ولقد بيّن الله- عزَّ وجلّ- أنه بقدر المعرفة به- سبحانه وتعالى- تكون الخشية منه،

(١) البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، **الأدب المفرد**، تحقيق: محمَّد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار البشائر الإسلامية، ط٣،١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، كتاب (الأذكار)، باب (دعوات النبي ﷺ)، ص٢٤٢، رقم: ٦٩٧.

فقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر:٢٨]، كما لا يمكن للإنسان أن يفهم نفسه والطبيعة من حوله بصورة واضحة ومتكاملة بدون العلم والمعرفة.

فالعلم والمعرفة هما اللذان يصوغان تصور الإنسان على الوجه الصحيح فإذا قام بالشيء فإنه يقوم به على بصيرة، وعلى الوجه المرضي، فالعلم دليل وقائد، يسبق الفعل ويتقدمه، وقاعدة العلم قبل العمل قاعدة مهمة ومنطقية جدًّا، كما جاء في تبويب البخاري، واستدل لها بقوله تعالى: ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] (١)، فمن خلال الجانب العلمي والمعرفي يتمكن الإنسان من فهم الظواهر حوله وصياغة تصور سليم ومتكامل حول تلك الظواهر، كما سيتمكن من ضبط سيره ووجهته وغايته بعيدًا عن كلِّ اضطراب وتيهٍ وحيرةٍ وتخبُّط.

ب- ممارسة العمران والاستخلاف الحضاري: تتمثل مهمة الإنسان في هذا الوجود في القيام بأعباء الخلافة، وذلك بممارسة عمران الاستخلاف، فهو مطالب بتأسيس عمرانه وإنشاء الحضارة التي تضمن استمراره وبقاءه من جهة، ومن جهة أخرى فإنها تمكنه من تحقيق الغاية التي خلق من أجلها وهي العبودية لله عز وجلّ، فهذا الكون هو مسرح الاستخلاف العمراني والحضاري.

فالله- عز وجل- سخر هذا الكون بكلِّ ما فيه للإنسان، وجعله تحت أمره وتصرفه؛ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً ۗ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِى ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَٰبٍ مُّنِيرٍ﴾ [لقمان:٢٠]، وقال في موضع آخر: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الجاثية: ١١]، وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ

(١) ومما يؤكد كون البناء العلمي والمعرفي مُهِمًّا وأساسيًّا في البناء الإنساني والتأهيل للعمران: أن جميع الأنبياء نالوا منه حظًّا وافرًا، كما قال تعالى عن عيسى- عليه السلام-: ﴿وَيُعَلِّمُهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [آل عمران:٤٨].

وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴾ [إبراهيم: ١، ٢]، فكل ما في السماوات والأرض مسخّرٌ لمصلحة الإنسان ومنفعته(١).

فإذا عرف الإنسان حقيقة أن الكون كلّه مسخر له من عند الله- عز وجلّ- كان لزاما عليه أن يبذل جهده ليستغلّ ويستفيد من هذا التسخير الرباني ليؤدي وظيفته الوجودية في الكون بغرض طاعة الله عز وجلّ، ولا يعقل أن يتمكن الإنسان من الاستفادة من هذا الكون للقيام بمهمته العمرانية دون معرفة أسباب وطرق استغلاله لصالح مهمته، وما على الإنسان إلا معرفة طرق استغلالها والاستفادة منها، وهذا لا يتم إلا عن طريق العلم والمعرفة، فمن هنا يتأكد دور العلم والمعرفة في بناء العمران.

فالعلم بالسنن الكونية والإحاطة بها يجعل هذا الكون منقادًا للإنسان ومطيعًا له، «فالعلم والتسخير والسنّة (القانون)، أمور مرتبطة بعضها ببعض، السنّة قانون الله، والعلم هو معرفة هذه السّنن، والتسخير هو نتيجة هذه المعرفة»(٢).

فعلى هذا، فإن الكون لا ينقاد للإنسان ولا يخضع له إلا إذا أدرك طريقة تسييره، وزيادة على ذلك؛ فإن طاعة الكون وانقياده للإنسان تزداد بازدياد علمه وإحاطته بالسنن، فإن اتساع علمه وإدراكه لها يزيد في قدرة الإنسان على التحكم فيها وتسخيرها لنفسه، فكلما ألمّ الإنسان بسنن الكون وأحسن استخدامها ازدادت قدرته في تسييره وبالتالي الاستفادة منه(٣).

فإن «هذا الكون لا يتسخّر للإنسان إلا إذا عرف كيف يسخّره، فالشّجر مثلاً كان ولم

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب (العلم)، باب (العلم قبل العمل)، ج١، ص ٣٧.

(٢) الطبري، أبو جعفر، **جامع البيان في تأويل القرآن**، تحقيق: أحمد شاكر، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م) ج١٧، ص١٧١.

(٣) سعيد، جودت، **العمل قدرة وإرادة**، (دمشق: دار الفكر، ط٢، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، ص ٥٦.

يزل مسخّراً له، ولكن في أول الأمر كان الإنسان يسخّره بتناول ثمره دون زرعه، وبعد أن تعلّم الإنسان زرع الشّجر، زادت الأشجار وسائر النباتات من طاعتها للإنسان، وكذلك الحيوانات بعد أن كانت ثروةً للصيّادين، عرف الإنسان طريقاً آخر يسخّر به الحيوان ويجعله أليفاً ذا فوائد أكبرَ وأكثرَ»(١).

ولو نظرنا إلى الأمر من زاوية أخرى، فإن الإنسان الجاهل بالسنن الكونية لا يمكن أن يستفيد من نعمة هذا الكون المسخّر إلا على المستوى الأولي وبشكل سطحي يمكّنه من تلبية حاجياته الأساسية فقط، كالأكل والشراب واللباس، فعلاقته بالكون محدودة جدًّا، لأن الجهل بالسنن يقابله العجز والضعف في تسيير الكون والاستفادة منه، وبالتالي فلن يتمكن من ممارسة عمران الاستخلاف، والقيام بمهمته الوجودية.

فالعلم هو أساس قيام العمران والحضارات والأمم، ولن يتمكّن الإنسان من إقامة أمة ما لم يكن مدخله معرفة السنن الكونية والكشف عن حقيقتها وطرق تسييرها.

المطلب الثاني: آليات القرآن في بناء الجانب العلمي والمعرفي للإنسان.

• الحث على التعلم واكتساب المعرفة: فأول آية نزلت جاءت تأمر الإنسان بالقراءة والتعلم والإقبال على المعرفة: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، وتحصيل العلم والمعرفة يكون من خلال قراءتين؛ القراءة في كتاب الله المسطور؛ الذي هو القرآن الكريم، والقراءة في كتاب الله المنظور؛ الذي هو الكون.

فالقرآن الكريم يهدي للتي هي أقوم في كلّ المجالات كما قال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، والعلم والمعرفة أحد المجالات التي يرشد إليها الإنسان، ففي آياته رصيد علمي ومعرفي كبير وهائل حول أهم القضايا والمفاهيم التي تشغل الإنسان، ومعرفتها والإلمام بها مهم جدًّا؛ ليتمكن الإنسان من تشكيل تصور متكامل يسمح له في

(١) سعيد، **العمل قدرة وإرادة**، ص ٥٦.

العيش بسلام داخلي من دون تناقض ولا اضطراب، بدءًا بتعريفه بالله- عزّ جل- خالقه؛ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف:٥٤]، وبتعريفه بنفسه على نحو مفصل جدًّا؛ كما يبدو ذلك في آيات كثيرة: كأصل خلقته، وخصائصه النفسية الإيجابية والسلبية، ومهمته في هذا الوجود، وتعريفه ببني جنسه السابقين له وموقفهم من المهمة التي أنيطت بهم، مصدرًا ووجهة وغاية ووظيفة، ثم تعريفه بالمسرح الذي يعيش فيه- وهو الكون- وعلاقته به وقوانين الحياة وسنن الله- عز وجل- في هذا الكون، فهذا الكمُّ الهائل من المعارف دليل على أن القرآن الكريم يمتاز- في حَدِّ ذاته- بثراء موضوعاته العلمية والمعرفية(١).

وزيادة عن كون القرآن ثريا بالرصيد المعرفي والعلمي؛ فإنه يأمر بنوع آخر من القراءة لا يستغنى عنه أبدا وهو القراءة في الكون.

والقراءة في كتاب الله المنظور تتمثل في: مطالعة الإنسان لهذا الكون والتفكر في خلقه والبحث في زواياه، فهي قراءة تجريبية عملية تطبيقية، تنطلق من القراءة الأولى وتنبني عليها (قراءة الكتاب المسطور)، وقد جاءت في هذا السياق آيات كثيرة تحث الإنسان على النظر في هذا الكون الفسيح والرحب، وتأمره بالتفكر والتدبر في خلق الله البديع في السماوات والأرض وما بينهما؛ ليقف على بعض أسرار الكون والطبيعة ليتمكن من استغلالها لصالحه ولمنفعته، كما في قوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [يونس:١٠١]، وقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ﴾ [الأعراف:١٨٥]، كما تأمره بالتحرك والسير في الأرض طولًا وعرضًا؛ ليقف على عظيم قدرة الله تعالى، ويتدبر في مصير بني جنسه قبله؛ ليكتشف السنن ويدرس الظواهر ويحللها؛ قال تعالى: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ

(١) سعيد، **العمل قدرة وإرادة**، ص ٥٦.

فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ﴾[الحج:٤٦]، فهذه القراءة التطبيقية المبنية على المشاهدة والمعاينة لها أثر كبير في إثراء الرصيد العلمي والمعرفي للإنسان، كما أنها تساهم في تفسير وشرح وكشف اللبس عن الكثير من القضايا العلمية والمعرفية التي اكتسبها الإنسان من خلال القراءة النظرية في الوحي، وزيادة على ذلك؛ فإنها تصدق قناعاته العلمية والمعرفية التي تشكلت لديه من خلال القراءة في الكتاب المنظور وتثبتها وتزيده يقينًا بها.

ولا غنى للإنسان بإحدى القراءتين عن الأخرى، فهما متكاملتان حيث «إنَّ الوحي يمثِّل دائرة المعارف الإسلامية، أما الكون؛ فإنه يمثل المعجم والمختبر الذي يحتوي على مفردات هذه الدائرة، فيقوم الباحث المتعلم بالنظر في مفردات هذا المعجم، مسترشدًا بما جاء في دائرة المعارف، (كما يستعين بما يكتشف في هذا المختبر على فهم ما يقرؤه في دائرة المعارف) [(١)]، فالكون في النظام المعرفي القرآني هو الجامعة المفتوحة، وفيها أنواع من المختبرات والتجارب والمشاهدات لا تحصى»[(٢)]، فبالقراءتين معًا يتمكن الإنسان من تكوين الرصيد العلمي والمعرفي الذي يمكنه من الوقوف على حقائق الأشياء ويحسن تصورها ويفهمها في إطارها الصحيح، كما يمكنه معرفة سنن الكون وأسراره؛ فيستفيد منها حق الاستفادة ويستغلها في أداء دوره الوظيفي المناط به والمتمثل في إنشاء العمران وتأسيسه.

ب- الدعوة إلى استعمال أدوات الإدراك وتفعيلها:

خلق الله- عز وجل- الإنسان صفحةً بيضاء وزوَّده بأجهزة وعي وإدراك يستطيع من خلالها أن يكتسب العلم المعرفة، وأن يتعرف على حقائق الأشياء في شتى المجالات، وتتمثل

(١) بوكاي، د. موريس، **التوراة والإنجيل والقرآن بمقاييس العلم الحديث**، ترجمة علي الجوهري، (دار المعارف، القاهرة ١٩٧٦م)، ص ١٤٤.

(٢) عبد الرحمن، بليل، **مصادر المعرفة في القرآن**، (١٤٣٠هـ، ٢٠٠٣م). تاريخ: ٨/١٤ /٢٠١٦م.
http://www.alukah.net/sharia/0/8392/

هذه الأجهزة في السمع والبصر والفؤاد، كما قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ [النّحل: ٧٨]، فاستخدام هذه الأدوات شرط أساس في اكتساب العلم والمعرفة، كما أن من أهم ميزات هذه الأجهزة الكشف عن سنن النفس، فيقف الإنسان على حقيقته فيتمكن من ترويضها وقيادتها، كما أنها تكشف عن سنن الكون وقوانينه المختلفة فيتمكن الإنسان من تسخيره.

وبهذه الأجهزة صار الإنسان متميّزًا عن غيره من المخلوقات والكائنات، فإذا عطل استخدامها ولم يستخدمها في اكتساب العلم والمعرفة؛ ليجلب المصالح لنفسه، ويدرأ المفاسد عنها، فحينئذ يكون أضل من الأنعام، قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾ [الأعراف:١٧٩].

ويعتبر العقل هو الآخر من أهم الأدوات التي يتوصل بها إلى اكتساب العلم والمعرفة، فلذلك نلاحظ أن القرآن الكريم يستحث عقل الإنسان ويدعوه إلى النظر العقلي في آيات الآفاق والأنفس(١).

كما له دور آخر وهو تمحيص المعرفة، فلذلك نجد القرآن الكريم لا يقبل إلا المعلومة المبنية على الدليل، وعلى هذا الأساس يخاطب الإنسان ويأمره أن يستخدم عقله، ويتبع الحجة والبرهان والتحري والتثبّت، كما في قوله تعالى: ﴿قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [البقرة:١١١].

ومن جانب آخر، فإن القرآن الكريم يصرف العقل عن كل ما يُعيقه عن الاشتغال بشكل طبيعي وفعال، كالتقليد الأعمى للآباء والأجداد(٢)، إذ أن تلك الموروثات تعطل

(١) الرشدان، محمود، **حول النظام المعرفي في القرآن**، (واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ١٩٩٧م)، العدد (١٠)، ص ٤٠.

(٢) أبو الحاج، ثابت، ذو الكفل، بن مُحَمَّد يوسف، **حرية التفكير وإبداء الرأي بين القرآن الكريم والمواثيق الدولية–**
=

عمل العقل وتحول بينه وبين الوصول إلى الحقيقة، فلذلك عاب القرآن الكريم على الكفار تبنيهم الأعمى لمورثات خاطئة ورثوها عن آباءهم ودفاعهم المستميت عنها، وليس لهم حجة في ذلك سوى تقليدهم لآبائهم بغير علم ولا هدى، بالرغم من قيام الحجة العقلية والمنطقية عليهم، فتقليدهم الأعمى لسلفهم جعلهم يعطلون وسيلة العقل التي بها يتم إدراك الحقيقة، فلذلك ضلوا، قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة:١٧٠].

د- بيان أهمية العلم وفضله:

وذلك من خلال النصوص التي تبرز فضل العلم والعلماء، فقد خص العلماء بمكانة عالية ومنزلة خاصة كما في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة:١١]، ففي هذه الآية مدح للعلماء كما قال ابن مسعود ﷺ، حيث إن الله- عز وجل- يرفع العالم على من ليس بعالم[(١)].

ولفضل العلم وأهميته أمر الله- سبحانه وتعالى- بالاستزادة منه، ولم يأمره بالاستزادة من شيء إلا في العلم[(٢)]؛ قال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾ [طه:١١٤]، كما أثنى على العلماء في موضع آخر فقال: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].

ومعلوم أن خشية الله لا تكون إلا بمعرفة الله- عز وجل- من خلال مخلوقاته، والعلماء هم أعرف الناس بالله، وبالتالي هم أشد خشية له، وقد مدحهم الله بذلك، فقال: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر:٢٨]، فمن خلال هذه النصوص التي تبرز فضل العلم وأهميته وتثني على طالبه، فإن القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى الإقبال على العلم والمعرفة.

=

دراسة مقارنة، (جامعة ملايا، ماليزيا، ١٤٣٧هـ، ٢٠١٥م)، ص١٩.

(١) المرجع نفسه، الصَّفحة نفسها.

(٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، ج١٧، ص ٢٩٩.

وختاما نذكر الحديث المشهور عن النبي ﷺ الذي يبين فيه وجوب طلب العلم، حيث يقول ﷺ: «**طَلَبُ العِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ**»(١)، فالنبي ﷺ جعل البناء العلمي والمعرفي فريضة شرعية، وواجبًا دينيًّا، تحرم مخالفته.

ولما كان النبي- ﷺ- مدركا لأهمية البناء العلمي والمعرفي للإنسان في القيام بدوره الوظيفي اشترط على أسرى بدر أن يعلّموا أولاد الأنصار الكتابة مقابل حريتهم(٢)، فهذا الصنيع منه- ﷺ- تصديق لقوله بوجوب طلب العلم واكتساب المعرفة، وزيادة على ذلك؛ فإن هذا الصنيع يؤكد على كون البناء العلمي والمعرفي ضرورة واقعية لمن أراد عمارة الأرض وممارسة مهمة الاستخلاف فيها وإنشاء أمة وحضارة يكون لها تأثيرٌ في الواقع.

فمن خلال ما سبق يتبين لنا أهمية الجانب العلمي والمعرفي في بناء الإنسان في ضوء التصور القرآني لدرجة اعتباره فريضة شرعية وضرورة واقعية؛ لأنه يزوّد الإنسان بالأدوات والمعارف التي تؤهله للقيام بدوره الكبير ومهمته الوجودية الملقاة على عاتقه، إذ العلم والمعرفة مقومان رئيسان في تحمّل الخلافة في الأرض وإنشاء الحضارة كما رأينا ذلك في قصة آدم عليه السلام .

وإذا أراد الإنسان أن ينشأ حضارة مستقيمة غير عرجاء فعليه أن يزاوج بين القراءتين- قراءة الوحي وقراءة الكون- ولا يكتفي بإحداهما عن الأخرى، فبالقراءتين معًا يحصّل الإنسان معرفة متكاملة ويكون على بصيرة من أمره، سواء على مستوى التصور والمفاهيم، أو على مستوى الممارسة والتطبيق والفعل.

(١) الزمخشري، جار الله، **الكشاف عن حقائق غوامض التأويل**، (بيروت: دار الكتاب العربي، ط٣، ١٤٠٧هـ)، ج٣، ص٩٠.

(٢) ابن ماجه، أبو عبد الله، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار الفكر، د.ت)، ج١، ص٨١، ر٢٢٤. الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين، **صحيح الجامع وزياداته**، (دمشق: المكتب الإسلامي، د.ت)، ج٢، ص٧٢٧.

المبحث الرابع: الجانب الأخلاقي والسلوكي:

يعتبر بناء الإنسان أخلاقيًّا وسلوكيًّا من أهم جوانب البناء- إضافة إلى الجوانب الأخرى- التي يركز عليها القرآن الكريم في إعداده للإنسان الإعداد المتكامل حتى يكون في المستوى لأداء دوره الوظيفي وممارسة عمران الاستخلاف، إذ الإنسان المستَخلَف لا بد أن يكون على قدر من البناء الأخلاقي والسلوكي ليقدر على النهوض بتلك الأعباء، وهذا ما كان عليه رسول الله ﷺ حيث وصفه الله- سبحانه وتعالى- بكونه ذا خلق عظيم، فقال: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم:٢٨]، أي: لعلى أدب عظيم[١]، ولقد كان لخلق النبي صلى الله عليه وسلم دور كبير في نجاح دعوته؛ حيث جعل الناس تقبل عليه وتحبه وتلتف حوله، وفي ذلك يقول الله عز وجلّ: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾ [آل عمران:١٥٩].

والمتأمل في القرآن الكريم يجد حضورا قويا وبارزا للعنصر الأخلاقي في آياته الكريمات، فهو يتناول هذا العنصر في مواضع متعددة وبشكل مستمرّ ما يدلُّ على أهمية هذا الجانب ومركزيته في البناء الإنساني. والبناء الأخلاقي هو عبارة عن ترجمة فعلية وعملية للمعتقدات والتصورات التي يعتقدها الإنسان ويؤمن بها في ضوء التوجيهات المستوحاة من دستور الأخلاق في القرآن الكريم، فلذلك لما سُئلت عائشة- رضي الله عنها- عن خلق النبيّ ﷺ أجابت بأن القرآن كان خُلُقه[٢]، فقد كان ﷺ قرآناً يمشي على الأرض، أي: كان يجسّد المنهج القرآني الأخلاقي في أرقى صوره، حيث كان يتحلى بآدابه ويتخلّق بأخلاقه، فلمْ يكتِف بمجرد

(١) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «كَانَ نَاسٌ مِن الأَسْرَى يَوْمَ بَدْرٍ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ فِدَاءٌ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ- صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- فِدَاءَهُمْ أَنْ يُعَلِّمُوا أَوْلَادَ الْأَنْصَارِ الْكِتَابَةَ، قَالَ: فَجَاءَ يَوْمًا غُلَامٌ يَبْكِي إِلَى أَبِيهِ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟ قَالَ: ضَرَبَنِي مُعَلِّمِي. قَالَ: الْخَبِيثُ يَطْلُبُ بِذَحْلِ بَدْرٍ، وَاللَّهِ لَا تَأْتِيهِ أَبَدًا». ابن حنبل، أحمد، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، ج٤، ص٩٢، ر٢٢١٦.

(٢) الطبري، **جامع البيان في تأويل القرآن**، ج٢٣، ص٥٢٨.

الاطلاع على دستور الأخلاق كما ورد في القرآن الكريم، ولم يكتف بالوقوف على الرصيد الأخلاقي والسلوكي الذي يحتويه ذلك الدستور من الناحية النظرية فحسب، بل حوّل تلك المعرفة وذاك العلم إلى ممارسة عملية وحركية تتجسد على أرض الواقع، فالجانب الأخلاقي يمثل الحياة العملية للإنسان(١).

المطلب الأول: أهمية الجانب الخلقي في بناء الإنسان:

يعتبر التكوين الأخلاقي أحد الركائز الأساسية في بناء وتأسيس الإنسان، ومن أهم المؤهلات التي تمكنه من ممارسة دوره الوظيفي المكلَّف به على أكمل وجه، لأنه يقوم أساسا على تربية النفس وتهذيبها وحملها على التحلي بالآداب والفضائل ومكارم الأخلاق في ضوء القرآن الكريم، وعلى كل المستويات؛ الفردي والجماعي، فتتجلى أهمية البناء الأخلاقي في كونه ينظم حياة الإنسان ويوضح منهج الحياة العملية ويحدد معالمها: «كيف ينبغي على الإنسان أن يسلك مع نفسه، وفي أسرته، ومع الناس أجمعين؟ .. وما المبادئ التي يجب أن تحكم العلاقات بين الحاكمين والمحكومين، وبين الدول أو المجتمعات؟.. وكيف يؤدي الإنسان العبادة لله؟.. وكلّ ذلك قد قيل بطريقة واضحة ومحددة»(٢)، فبمتانة الجانب الأخلاقي في نفوس الأفراد يصلح المجتمع وتستقيم شؤونهم، كما أن ضعف الجانب الأخلاقي أو غيابه لدى الأفراد سينتج عنه ضياع الحقوق، ما يؤدي إلى فساد المجتمع وانهياره.

كما يلاحظ أن الآيات القرآنية التي تناولت العنصر الأخلاقي كثيرة جدًّا، حيث تربو عن ١٥٠٠ آية(٣)، كما في قوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [النّحل:٩٠]، وقوله تعالى:

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب (صلاة المسافرين وقصرها)، باب (جامع صلاة الليل ومن نام عنه أو مرض)، ج١، ص٥١٢، ر ٧٤٦.

(٢) دراز، عبد الله، **دستور الأخلاق في القرآن الكريم**، ترجمة: عبد الصبور شاهين، (بيروت: مؤسسة الرسالة، د. ت)، ص١٠.

(٣) المرجع نفسه، الصَّفحة نفسها.

﴿ خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴾ [الأعراف:١٩٩]، وغيرها.

فهذا الكمُّ الهائل من الآيات يدلُّ على أهمية الأخلاق في البناء القرآني للإنسان، وأن هذا الجانب أصلي غير فرعي ورئيسي غير ثانوي في عملية البناء الإنساني، ويشهد لهذه الحقيقة- كون العنصر الأخلاقي بهذه الأهمية وبهذا التمركز- الحديث الذي روي عن النبي ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ**»(١)، ففي هذا الحديث تصريح مباشر ودلالة واضحة على أن البناء الخلقي يعتبر أحد المقاصد المهمة لعملية البناء الإنساني الكبرى التي جاء ليقوم بها رسول الله ﷺ.

وزيادة على ذلك فإن الجانب الخلقي في الإنسان يعتبر فريضة شرعية وضرورة واقعية، فأما كونه فريضة شرعية؛ فلأنه من جملة التكاليف التي أمر الله بها، وأما كونه ضرورة واقعية؛ فنجاح عملية العمران متوقفة عليه.

ولابد من بيان بعض الخصائص والحقائق المتعلقة بالبناء الأخلاقي في القرآن الكريم، وهي علاقة البناء الأخلاقي بالإيمان، وذلك من وجوه:

أ- الإيمان مصدر الأخلاق: يعتبر الإيمان مصدر الأخلاق والدافع إلى التحلي والتخلق بها، فقد سبق وذكرنا أن الأخلاق إنما هي ترجمة عملية وحركية للإيمان، فلا قيمة لإيمان لم يترجم إلى سلوك قويم، ولم يثمر أخلاقا حسنة، بل إن الكثير من النصوص الشرعية علَّقت كمال الإيمان وتمامه بالجانب الأخلاقي مما يدل على أنَّ الإيمان هو المحرِّك والوقود الذي يدفع الإنسان للتحلي بالأخلاق، ومن ذلك قول النبي ﷺ: «**وَاللهِ لا يُؤْمِنْ، وَاللهِ لا يُؤْمِنْ، وَاللهِ لا يُؤْمِنْ**». قِيلَ: مَنْ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الذِي لا يَأْمَنُ جَارُهُ بَوَائِقَهُ**»(٢)، وقوله ﷺ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ**

(١) المرجع نفسه، ص٥.

(٢) البخاري، **الأدب المفرد**. كتاب (حسن الخلق)، باب (حسن الخلق)، ص ١٠٤، ر ٢٧٣.

الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ»[(١)]، فمن خلال هذين الحديثين يتضح جليًّا أن الإيمان هو مصدر الالتزام الأخلاقي والدافع إلى الانضباط السلوكي.

فالأخلاق إذًا هي الثمرة التي تنبثق وتنتج عن الإيمان، وهذه التصرفات والممارسات الأخلاقية التي ينضبط بها الإنسان إنما يستمدها من المنظومة الإيمانية، فلذلك نجد النصوص القرآنية والحديثية حين تدعو الإنسان إلى الانضباط والتحلي بالأخلاق والسلوك والقيم المثلى فإنها تخاطب الجانب الإيماني المستقر فيه، كتلك التي تُصدّرُ بقوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾، ثمّ يذكرُ لهم ما يدعوهم إليه؛ كقوله: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴾ [التوبة:١١٩، ٤٦] [(٢)]، فالإنسان يتحلى بتلك الأخلاق ويمتثل لتلك الأوامر بدافع من إيمانه، حبًّا في الله ورغبة فيما عنده، وخشية من الله ومراقبة له.

وفي المقابل نجد القرآن الكريم يربط بين غياب الإيمان- الذي هو مصدر الأخلاق- وبين هشاشة البناء الأخلاقي أو انعدامه كما في قوله تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُواْ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ [المدثر:٤٢- ٤٦]، وقال في موضع آخر: ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ ﴾ [الحاقة:٣٣، ٣٤]، وقال تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾ [الماعون:١، ٣]، فمن خلال هذه الآيات يتبين أن غياب الأخلاق عند الكفار كان نتيجة لغياب الإيمان[(٣)].

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب (الأدب)، باب (إثم مَن لا يأمن جاره بوائقه)، ج٥، ص٢٢٤٠، ر ٥٦٧٠.

(٢) الغزالي، محمد، **خلق المسلم**، (القاهرة: دار الريان للتراث، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م)، ص١٠.

(٣) أبو بكر، مروان محمد، **المنهج النبوي في بناء الأخلاق**. ٨/٢٨ /٢٠١٦.
http://www.alukah.net/social/0/527/

فمن خلال ما سبق يتأكد لنا أن الأصل في الإنسان صاحب الإيمان أن يكون متين البناء في جانبه الخلقي والسلوكي.

وبما أن الإيمان هو مصدر الأخلاق والدافع إليها فإن بينهما تلازمًا حتميًّا؛ إذ العلاقة بينهما علاقة طردية، بمعنى أن الإيمان القويّ يثمر بناءً أخلاقيًّا وسلوكيًّا مَتينًا، وفي المقابل فإن نقص الإيمان وضعفه ينتج عنه تردٍّ في الأخلاق، وبالتالي فإن الجانب الخلقي والسلوكي سيكون- لا محالة- هشًّا وضعيفًا، فضعف الجانب الأخلاقي السلوكي دليل على ضعف الإيمان؛ كقوله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَاناً أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(١) (٢).

وهنا لا بدَّ من الإشارة إلى أمر مهم؛ وهو أن هشاشة البناء الأخلاقي أو انعدامه قد يعرض المرء إلى الوقوع في أركان النفاق، كما قال ﷺ: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»(٣).

فمن هنا يتبين لنا ضرورة موافقة الجانب التطبيقي للجانب النظري، بمعنى أن الأخلاق لا بد أن تكون انعكاسا لإيمان المرء وفكره، إذ الأصل في المؤمن الحق أن يتصرف وفق ما يدعوه إليه إيمانه ومعتقده، فإذا اكتفى بالإيمان على المستوى النظري، أو تصرف على خلاف ما يؤمن فإن هذا قد يوقعه في النفاق.

ب- الإيمان أساس الأخلاق: يقرر القرآن الكريم حقيقة أن الإيمان هو أساس البناء الأخلاقي، فالأخلاق التي لا يكون الإيمان أساسًا لها ناقصة وغير كاملة، وهي وإن كانت أعمالًا حسنة فإنها لا تقوم على أساس متين.

(١) أبو بكر، مروان مُحَمَّد، **المنهج النبوي في بناء الأخلاق**. ٢٨/ ٨ /٢٠١٦.
http://www.alukah.net/social/0/527/

(٢) أبو داود، **سنن أبي داود**، كتاب (السُّنَّة)، باب (الدليل على زيادة الإيمان ونقصانه)، ج٢، ص ٦٣٢، ر ٤٦٨٢.

(٣) الغزالي، **خلق المسلم**، ص ١٠.

ومما يدل على ذلك قول الله عزّ وجل: ﴿ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ﴾ [التوبة:١٩]، فقد بيّن الله- عز وجلّ- للمشركين أن عمارة المسجد الحرام- وهي فضيلة من الفضائل- «إنما توجب الفضيلة إذا كانت صادرة عن المؤمن، أما إذا كانت صادرة عن الكافر فلا فائدة فيها البتَّة»[(١)]، كما أنَّ صاحب الإيمان الصادق «أولى بالأخلاق ممن أطعم الجائع أو كسا العريان وقلبه غارق في الشِّرك ورجسه»[(٢)].

فالإيمان هو الأساس والدعامة الرئيسية التي يرتكز عليها الجانب الأخلاقي، ولضمان صلابة البناء الأخلاقي ومتانته لا بد من رعاية الأرضية والأساس المتمثلين في الإيمان.

المطلب الثاني: آليات بناء الجانب الأخلاقي:

لما كانت هذه منزلة البناء الأخلاقي للإنسان في المنظومة القرآنية المتكاملة لبناء الإنسان؛ وضع القرآن الكريم آليات وسبلًا لبناء هذا الجانب والحفاظ عليه، **ومن تلك الآليات ما يلي:**

أ- التحلية والتخلية: يعتمد القرآن الكريم هذا الأسلوب في بناء الجانب الأخلاقي، حيث إن طبيعة الإنسان يتنازعها نوعان من الأخلاق: حسن وسيّء، فهو يعمد إلى الخلق

(١) البخاري، **صحيح البخاري**، كتاب (الإيمان)، باب (علامة المنافق)، ج١، ص٢١، ر ٣٤. ﴿ **لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ** ﴾ : إنَّ النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم هو النموذجُ الأسمى لاجتماعِ المبدأ والسلوكِ، وتطابقِ المعتَقَدِ مع القولِ، وتطابُقِ القولِ مع العملِ، فإنَّ أعظمَ المسلمين منه قربًا ﷺ أولئك الذين ضاقتِ المسافةُ بين سلوكهم وبين مبادئِ الإسلامِ، وقِيَمِهِ، وتشريعاته، وآدابه»، النابلسي: ٢٥/ ٨ /٢٠١٦م
http://www.nabulsi.com/blue/ar/print.php?art=371

(٢) الرازي، أبو عبد الله، **مفاتيح الغيب**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، ج١٦، ص١٢. ويدل على ذلك ما روته عائشة ﵂ أنها قالت: قلتُ: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يَصلُ الرَّحم ويطعم المسكين، فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لا ينفعه؛ إنه لم يقل يومًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدِّين**»، مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب (الإيمان)، باب (الدليل على أن من مات على الكفر لا ينفعه عمل). ج١، ص١٩٦، ر ٢١٤.

السيئ فيخلي النفس منه ويقتلعه من جذوره بغرض صيانتها وحمايتها، ثم يحليها ويزودها بالخلق الحسن والسلوك القويم مكان ذلك السلوك السيئ؛ لأن التخلية تسبق التحلية[1]، ثم يعمل بعد ذلك على غرس وترسيخ الأخلاق الحسنة والسلوك القويم في نفس الإنسان حتى يمارسها عن قناعة، **وتتم هذه العملية عن طريقين رئيسين:**

١- النهي عن الأخلاق المذمومة: وكل ما من شأنه أن يخرق ويفسد البناء الأخلاقي والسلوكي، كالنهي عن السخرية والاستهزاء والتنابز بالألقاب كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [الحجرات:١١]، والنهي عن سوء الظنّ والتجسس والغيبة، كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحجرات:١٢]، وأمره باجتناب فاحشة الزنا، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةٗ وَسَآءَ سَبِيلٗا﴾ [الإسراء:٣٢]، وغيرها من الآيات التي تنهى الإنسان وتأمره باجتناب مفسدات الجانب الأخلاقي.

٢- الأمر بالأخلاق الحميدة والآداب الحسنة ومكارم الأخلاق وكل ما من شأنه أن يحفظ البناء الخلقي والسلوكي للإنسان؛ كالأمر بالتعاون على الخير، كما في قوله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلۡبِرِّ وَٱلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة:٢]، والأمر بالتثبت عند سماع خبر ما، كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات:٦]، والأمر بالإصلاح بين المسلمين، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَ أَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ﴾ [الحجرات:٩]، وغيرها من الآيات التي تأمر بمكارم الأخلاق والتي تخدم الجانب الخلقي وتقويه بشكل مباشر.

(١) أبو بكر، **المنهج النبوي في بناء الأخلاق**. ٨/٢٥ /٢٠١٦م. http://www.alukah.net/social/0/527/

ب- تشريع العبادات: إضافة إلى بيان فضائل الأخلاق والدعوة إليها والحث النظري عليها؛ فإن القرآن الكريم شرّع العبادات والتي تعتبر الطريق الأمثل لتهذيب وغرس الأخلاق، إذ هناك ارتباط وثيق بين العبادة الصحيحة والأخلاق الحسنة، فإنما شرعت التكاليف كونها تحقق مقاصد وغايات سامية، فمن خلالها يبني الإنسان منظومته الأخلاقية؛ وذلك لأنه- من خلال تلك العبادات- يكتسب أخلاقا حميدة ويصون منظومته الأخلاقية مما يفسدها، والأمثلة على ذلك كثيرة، نذكر منها: الصلاة؛ لما فرض الله- عزّ وجلَّ- الصلاة بيّن الغاية من إقامتها فقال: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، فحقيقة الصلاة تتجلى في كونها تصرف الإنسان عن كل رذيلة، وتطهره من سوء القول والعمل(١).

وكذلك الصوم؛ فإن الله- عز وجلَّ- فرضه علينا وعلى الأمم قبلنا، وبيَّن العلة من وراء هذه الفريضة فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٨٣]، فليس الصّوم مجرد حرمان مؤقّت للنفس من بعض الأطعمة والأشربة، بل هو خطوة تدريبية ووسيلة ترويضية للوصول إلى غاية أعظم؛ وهو حرمان النفس ومنعها من الشهوات والنزوات المحرّمة بشكل دائم(٢)، ويشهد لهذا المعنى قول النبي ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَه**»(٣).

ومثله الزكاة؛ فليست ضريبة تؤخذ قسرًا من الجيوب كما يتصورها البعض؛ بل فرضت لتحقيق مقصد أكبر وهو تحقيق التكافل الاجتماعي بين أفراد المجتمع وتوطيد علاقات الألفة بينهم، وقد أبان الله- عز وجلّ- الحكمة من وراء تشريع الزكاة في قوله تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة:١٠٣]، فالحكمة الأولى تتجلى في تنظيف وتطهير النفس

(١) القاسمي، جمال الدين، **محاسن التأويل**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ)، ج٦، ص٤٢٥.

(٢) الغزالي، **خلق المسلم**، ص ٧.

(٣) المرجع نفسه، ص ٨.

من أدران النقص التي تنحط بها، والرقي بالمجتمع إلى مستوى أرفع وأنبل[١].

ويجب التنبيه إلى ملحظ مهم جدًّا؛ وهو أن الخُلق يحتاج إلى وقت ومراحل لينضج وليتكون في النفس، وليأخذ الصفة التي يكون معها الجانب الأخلاقي متينًا ورصينًا، فلذلك ربط الله- عز وجلّ- نماء الأخلاق وارتقاءها بأعمال متكررة على نحو دائم والمتمثلة في العبادات؛ كالصلاة والزكاة وغيرها، وهذا يدلنا على أهمية العبادات في التأسيس للجانب الأخلاقي لدى الإنسان[٢].

فمن خلال هذه الآيات يتبين لنا أن العبادات بشتى أنواعها تثمر خلقًا حسنًا وسلوكًا قويما تساهم بمجموعها في بناء وتقوية الجانب الأخلاقي.

فمن خلال ما سبق يتبين لنا أهمية الجانب الأخلاقي والسلوكي في بناء الإنسان في ضوء التصور القرآني، لدرجة أن اعتبر أحد أهم المقاصد من وراء بعثة النبي ﷺ، وذلك أنه يعتبر ثمرة الجوانب الأخرى والترجمة العملية لإيمان الإنسان، فالبناء الأخلاقي يعكس مدى قوة وصلابة الجوانب الأخرى.

ويعتبر البناء الأخلاقي المتين والصلب أحد أكبر العوامل التي تؤهل الفرد للقيام بدوره الكبير ومهمته الوجودية الملقاة على عاتقه، وخير نموذج على ذلك، نبيّنا مُحَمَّد- صلى الله عليه وسلم- الذي بلغ الغاية في بنائه الأخلاقي وهو ما جعله ينجح في أدائه لوظيفته العمرانية على أحسن وجه.

وبالمقابل، فإن هشاشة البناء الأخلاقي وضعفه أو غيابه من أكبر العوائق التي تعطّل حركة العمران أو تحرّفها عن مسارها الصحيح، كما أن الجانب الأخلاقي يعتبر مؤشرًا ومقياسًا لسلامة العمران والحضارات أو فسادها.

(١) المرجع نفسه، الصفحة نفسها. البخاري، **صحيح البخاري**، باب (من لم يدع قول الزور والعمل به في الصوم)، ج٢، ص٦٤٣، ر ١٨٠٤.

(٢) الغزالي، **خلق المسلم**، ص ٨.

المبحث الخامس: الجانب البدني والجسدي:

يعتبر جسد الإنسان الآلةَ التي يمارس من خلالها مختلف الأنشطة ويمارس الحركة والسعي في الوجود، فالجسد هو الآلة التي يقوم من خلالها العمران، فلذلك اعتنى القرآن الكريم بجسم الإنسان، فبسلامته وصلاحه يمكن للإنسان أن يؤدي وظيفته الوجودية ويتمكن من السعي والحركة في هذا الكون، وبهلاكه وتلفه يتعذر قيام الإنسان بدوره الوظيفي بقدر الهلاك والتلف.

ومما يدلل على كون سلامة الجسم وقوته من الجوانب المهمة في عملية البناء الإنساني لمساهمته الفعالة في أدائه لدوره في العمران: اصطفاء الله- عز وجل- لطالوت ليكون ملكًا على الناس، **وردَّ ذلك إلى عاملين مهمين:**

أحدهما: أنه أوتي بسطة في الجسم، أي: قوة[(١)].

ولما كان الإنسان القوي في بنائه البدني والجسدي أقدر على أداء وظيفته العمرانية، كان الإنسان المؤمن القوي خيرا وأحب إلى الله- عز وجلّ- من الإنسان الضعيف، كما قال النبي ﷺ: «**المُؤْمِنُ القَوِيُّ خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلى الله مِنَ المُؤْمِنِ الضَّعِيفِ، وَفِي كُلٍّ خيرٌ**»[(٢)]، وذلك أن صاحب هذا الوصف يكون قويا على المستوى الفكري العقلي والبدني الجسدي.

فإذا كان الإنسان عليلًا في جسده، مريضًا في بدنه فأنى له القيام بعمارة الأرض وأداء الأمانة التي هو مسؤول عنها؟ فلهذا السبب حرص القرآن الكريم على البدن والجسم في بنائه للإنسان.

(١) المرجع نفسه، ص ٢٧.

(٢) أبو زهرة، محمد، **زهرة التفاسير**، (مصر- دار الفكر العربي، د. ت)، ج٢، ص٨٩٢.

المطلب الأول: آليات بناء الجانب البدني وحفظه:

لما كان البناء البدني والجسدي للإنسان من الأهمية بمكان في المنظومة القرآنية المتكاملة لبناء الإنسان؛ وضع القرآن الكريم آليات وسبلًا لبناء هذا الجانب والحفاظ عليه، **ومن تلك الآليات ما يلي:**

أ- عناية القرآن الكريم ببدن الإنسان وتكريمه: من مظاهر حفظ القرآن الكريم للبدن الإنساني وعنايته به تكريمه له، حيث يقول- عز وجل- : ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء:٧٠]، فلذلك حرم انتهاك جسد الإنسان والاعتداء عليه، سواء بالقتل أو بإتلاف عضو من الأعضاء، ورتب على ذلك القصاص؛ القتل بالقتل، أو إتلاف عضو المعتدي بقدر ما أتلف، كما قال تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة:٤٥]، وفي هذا التشريع حفظ مباشر لبدن الإنسان وصيانة له عما يتسبب في هلاكه.

وفي سياق آخر حرّم الله عز وجلّ على الإنسان أن يؤدي بنفسه إلى ما يؤذيه ويضره، كما قال تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة:١٩٥]، فهذه الآيات كلها تدل على تحريم الاعتداء على جسد الإنسان وانتهاك حرمته.

وقد أباح الله- عز وجّل- أكل الميتة ولحم الخنزير وغيرها من الخبائث المحرمة لمن كان مضطرًّا وشارف على الهلاك، حفاظًا على نفسه قال تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة:١٧٣]، ولذلك قيل: "صحّة الأبدان مقدمة على صحة الأديان"[(١)]، أي: أنه يسمح

(١) مسلم، **صحيح مسلم**، كتاب (القدر)، باب (في الأمر بالقوة وترك العجز والاستعانة بالله وتفويض المقادير)، ج٤، ص٢٠٥٢، ر ٢٦٦٤. قال الإمام النووي: «صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد، وأسرع خروجًا إليه وذهابًا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات =

للإنسان بتناول شيء محرم إنقاذا لنفسه من هلاك محقق.

وقد ثبت أن النبي- ﷺ- قال: "**وإنَّ لجَسَدِكَ عَلَيْكَ حَقًّا**"(١).

ب- الأمر بالاعتدال في الأكل والشرب: ومن آليات حفظ القرآن الكريم لجسم الإنسان أمره بالاعتدال والتوازن في الأكل والشرب حفاظًا على صحته، ونهيه له عن الإسراف ومجاوزة الحد في ذلك؛ حيث إن الإسراف يؤدي إلى التهلكة، قال تعالى: ﴿ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [الأعراف:٣١].

وعلق الإمام ابن القيم على هذه الآية وذكر بأن مدار حفظ الصِّحة مبني على هاتين الكلمتين الإلهيتين، وفي ذلك يقول: «فأرشد عباده إلى إدخال ما يقيم البدن من الطعام والشّراب عوض ما تحلّل منه، وأن يكون بقدر ما ينتفع به البدن في الكميّة والكيفية، فمتى جاوز ذلك كان إسرافا، وكلاهما مانع من الصّحة جالب للمرض، أعني: عدم الأكل والشّرب أو الإسراف فيهم، فحفظ الصّحة كلّه في هاتين الكلمتين الإلهيتين»(٢).

إن «الإسراف في الطعام أحد المعاول التي تحطم جسم الإنسان، وقد أثبت الطب الحديث العلاقة الوثيقة بين البدانة التي تنشأ- عادة- عن الإكثار من الطعام كمًّا ونوعا، وبين أمراض القلب والمعدة والكلى والكبد، ومما قاله بعض الحكماء: إن الناس يحفرون قبورهم بأسنانهم، يريد أنهم يسرفون في الطعام فيصابون بشتى الأمراض التي تسلمهم- غير

=

الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها، ومحافظة عليها، ونحو ذلك».

(١) النَّسائي، أحمد بن شعيب؛ أبو عبد الرحمن، **المجتبى من السنن**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدَّة، (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، كتاب (الصِّيام)، باب (صوم يوم وإفطار يوم)، ج٤، ص٢١٠، ر ٢٣٩١. قال الشيخ الألباني: «صحيح».

(٢) ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله، **الطب النبوي**، تحقيق: السيَّد الجميلي، (بيروت- لبنان: دار الكتاب العربي، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، ج٥١، ص٢. ابن قيم الجوزية، شمس الدين؛ أبو عبد الله، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط. (بيروت- الكويت: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م)، ج٤، ص١٩٥.

مطمئنين- إلى قبورهم»[١] .

ولما كان الإسراف في الأكل والشّرب بهذه الخطورة؛ حيث إن التمادي فيهما يؤدي بالإنسان إلى التهلكة ويعود عليه بالضرر، جاءت وصية النبي- ﷺ- مؤكّدة للآية الشريفة ومفصلة لها، وفي ذلك يقول: "**مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، بِحَسَبِ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٍ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا بُدَّ فَاعِلًا، فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ**"[٢]. فتضمنت هذه الوصية النبوية الطبية أصلًا من أصول المحافظة على صحة الإنسان، والتي تجعل الاعتدال والتوازن في الطعام وعدم الإسراف فيه أضمن طريق لضمان صحة الإنسان وسلامته وحمايته مما يضره ويؤذيه.

جـ- تحريم الخبائث والأمر بتناول الطيبات: أمر الله عز وجل الإنسان بأكل الطيبات؛ فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ ﴾ [البقرة:١٧٢]، فكل طيب لا خبث فيه هو غذاء الأبدان[٣]، كما أمر الله باجتناب الخبائث والنجاسات؛ لأنها تضر بصحته، قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ﴾ [الأنعام:١٤٥]، فما حرّم الله- عز وجل- تلك الخبائث إلا للأذى العظيم والمحقق الذي تسببه للإنسان، وفي هذا تتجلى عناية القرآن الكريم الكبيرة ببدن الإنسان وحمايته له مما يؤذيه، وحرصه على سلامته.

وقد جاء في موضع آخر نهي عن شرب الخمر ووصفها بأنها رجسٌ، وذلك لأنها تضر الإنسان وتؤذيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ

(١) العماري، **من حديث القرآن عن الإنسان**. سلسة دعوة الحق، العدد ٢٢، ص١١٢، ١١٣.

(٢) ابن حبَّان، أبو حاتم، **صحيح ابن حبّان**، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (بيروت: مؤسَّسة الرِّسالة، ط١٤١٤،٢هـ، ١٩٩٣م)، كتاب (الرَّقائق)، باب (الفقر والزُّهد والقناعة)، ر ٦٧٤. قال شعيب الأرناؤوط: «صحيح».

(٣) أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج٤، ص٢٠٥٤.

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [المائدة:٩٠]، فكل ما يضر الإنسان ويؤثر سلبًا على صحته يعتبر محرمًا في المنظور القرآني.

هـ- تحريم الممارسات التي تضر الإنسان: (اجتناب الموبقات كالفاحشة).

ومن ذلك تحريمه لإتيان الرجل زوجته أثناء فترة حيضها وفترة نفاسها؛ لما يترتب على ذلك من أضرار صحية، وقد وصفه الله عز وجلّ بأنه أذى؛ قال تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ۖ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، ففي هذا المنع لطف من الله- عز وجلَّ- بعباده[١]، وصيانة لصحتهم وأبدانهم من الأذى الذي يلحقهم من هذا الفعل في تلك الفترة.

و- الأمر بالتطهر والنظافة: للطهارة دور كبير في الحفاظ على صحّة الإنسان، ووقايته من كثير من الأمراض الخطيرة والفتّاكة، لا جرم أن كان الأمر بالطهارة والنظافة من أول ما أمر به الله- عز وجلّ- نبيه محمّدًا ﷺ؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر:١، ٥].

وقد أثنى الله- عز وجل- على قوم يحرصون على التطهر والنظافة ومدحهم مدحًا بليغًا، وأخبر- سبحانه وتعالى- أنه يحبهم لفعلهم هذا فقال: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة:١٠٨]، فهم- دائمًا- في حرص على التطهر بالماء لإزالة النجاسات والقاذورات[٢]، وقال في موضع آخر: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة:٢٢٢]، أي: المتنزهين عن الأقذار والأذى[٣].

(١) السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، (السعودية: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، ج١، ص١٠٠.

(٢) المرجع نفسه، ج١، ٣٥١.

(٣) ابن كثير، أبو الفداء؛ إسماعيل بن عمر، **تفسير القرآن العظيم**، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، (دمشق: دار طيبة =

ومن أظهر الأدلة على عناية القرآن بصحة الإنسان وسلامة جسده: الأمرُ بالوضوء عند القيام للصلاة، ففي غسل الأعضاء بالماء مرات عديدة في اليوم الواحد تطهير عملي ووقائي مفيد لجسم الإنسان، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِ﴾، ثمّ عقب الله- عز وجل- بقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾ [المائدة:٦]، أي: «يريد الله لكم طهارة الجسم من الأرجاس، وليرحض عنه الأوساخ»[(١)]، ومعلوم أن في هذه الآيات دعوةً من الله- عز وجل- إلى الحفاظ على الطهارة والنظافة لأثرها الكبير في الحفاظ على صحة الإنسان، ولما يترتب عن الإخلال بها من أمراض خطيرة وفتاكة، فتأذي البدن والجسد الإنساني يُعيقه عن أداء دوره الوظيفي على أحسن وجه.

فهذا هو منهج القرآن الكريم في بناء الإنسان وإعداده إعدادًا متكاملًا ومتناسقًا في جميع المجالات، بدءًا من تصحيح المفاهيم والتصورات والمعتقدات ومرورا بالجوانب الأخرى؛ الروحي والمعرفي والخلقي ووصولا إلى البدني، وهذه المجالات مترابطة ويكمل بعضها بعضا، وقد وضع القرآن الكريم آليات ووسائل تخدم كلّ مجال وتؤسسه، كالصلاة والذكر بالنّسبة للجانب الروحي والنهي عن الإسراف في الأكل والشرب بالنسبة للبدني.

فغاية القرآن الكريم في بناء الإنسان بهذه الصفة المتكاملة الجوانب هو تأهيله ليكون صالحًا مصلحًا قادرًا على أداء الغاية التي خلق من أجلها، والمتمثلة في ممارسة عمران الاستخلاف وفق مراد الله عزَّ وجل.

=

للنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٠م، ١٩٩٩م)، ج١، ص٥٨٨.

(١) أبو زهرة، **زهرة التفاسير**، ج٤، ص٢٠٥٤.

الخاتمة:

توصل الباحث من خلال هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

– أن مجالات البناء القرآن للإنسان تتمثل في المجال العقدي، والروحي، والعلمي، والخلقي، والبدني.

– أن هناك تكاملًا وترابطًا بين هذه المجالات، مع تفاوت في الأهمية والأولوية في البناء.

– أن البناء العقدي أساس كلِّ بناء، لأنه متعلق بتصحيح التصورات والمفاهيم التي تنبني عليها بقيّة المجالات، ولذلك كان تركيز الرسل في أوائل دعواتهم على البناء العقدي.

– أن الجانب الروحي القائم على التزكية يوطد العلاقة بين الإنسان وربِّه، وبقدر ما تتزكى النفس تكون أقدر على القيام بمهمة الخلافة.

– أن الجانب المعرفي هو الركيزة الكبرى التي جعلت الإنسان مؤهلا للقيام بمهمة الخلافة، إذ يتمكن من تصور الأشياء حوله تصورًا صحيحًا، كما تسمح له بحسن التصرف فيها.

– أن المجال الأخلاقي السلوكي مركزي في البناء الإنساني؛ إذ هو عبارة عن ترجمة فعلية وعملية للمعتقدات والتصورات التي يعتقدها الإنسان ويؤمن بها في ضوء التوجيهات المستوحاة من دستور الأخلاق في القرآن الكريم.

وينتج عن متانة الجانب الأخلاقي في نفوس الأفراد صلاح المجتمع واستقامة شؤونهم، كما أن ضعف الجانب الأخلاقي أو غيابه لدى الأفراد سينتج عنه ضياع الحقوق، ما يؤدي إلى فساد المجتمع وانهياره.

– أن لكل مجال آليات تخدمه وتؤسسه، ففي المجال العقدي نجد التدبر والتفكر، وفي المجال الروحي نجد الصلاة والأذكار، وفي المجال المعرفي نجد الحثّ على اكتساب المعرفة، وفي المجال الأخلاقي نجد التوجيهات حول كيفية التصرف على المستوى الفردي والجماعي، وفي المجال البدني نجد الأمر بالاعتدال في الأكل والشرب.

التوصيات:

يوصي الباحث في نهاية هذه الدراسة بما يلي:

– القيام بدراسات تتناول بعمق وتفصيل منهج القرآن الكريم في بناء كلِّ جانب من الجوانب السابقة.

– مراعاة مجالات بناء الإنسان وآلياته في ضوء القرآن الكريم عند صياغة البرامج التربوية والتكوينية التي توضع لشتى الفئات.

– كتابة دراسات حول مجالات البناء القرآني للإنسان وآلياته من خلال كتب التفسير.

– القيام بدراسات مقارنة بين منهج القرآن الكريم في بناء الإنسان والمناهج الأخرى.

قائمة المراجع:

- إبراهيم مصطفى، أحمد الزّيات، حامد عبد القادر ومُحَمَّد النّجار، (١٩٨٥)،«المعجم الوسيط»، تحقيق: مجمع اللغة العربية، (ط١). القاهرة: دار الدعوة.

- ابن حبّان؛ أبو حاتم، (١٤١٤هـ، ١٩٩٣م)، «صحيح ابن حبّان»، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، (ط٢). بيروت: مؤسّسة الرّسالة.

- ابن حنبل أحمد، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، «مسند الإمام أحمد بن حنبل»، تحقيق: شعيب الأرناؤوط وآخرون، (ط٢).بيروت: مؤسسة الرسالة.

- ابن عجيبة، أبو العباس، (١٤١٩هـ، ١٩٩٩م)، «البحر المديد في تفسير القرآن المجيد»، تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان. القاهرة: حسن عباس زكي.

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م)، «زاد المعاد في هدي خير العباد»، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، عبد القادر الأرناؤوط. بيروت- الكويت: مؤسسة الرسالة، مكتبة المنار الإسلامية.

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله، (١٤١٠هـ، ١٩٩٠م)، «الطبّ النبوي»، تحقيق: السيّد الجميلي، بيروت- لبنان: دار الكتاب العربي.

- ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله، (١٩٩٣هـ، ١٩٧٣م)، «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين»، (ط٢). بيروت: دار الكتاب العربي.

- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (١٤٢٠م، ١٩٩٩م)، «تفسير القرآن العظيم»، تحقيق: سامي بن مُحَمَّد سلامة، (ط٢). دمشق: دار طيبة للنشر والتوزيع.

- ابن ماجه، أبو عبد الله، (د.ت)،«سنن ابن ماجه»، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي. بيروت: دار الفكر.

- ابن منظور، مُحَمَّد بن مكرم، (د.ت)، «لسان العرب»،(ط١). بيروت: دار صادر.

- أبو الحاج، ثابت، ذو الكفل، بن مُحَمَّد يوسف، (١٤٣٧هـ، ٢٠١٥م)، «حرية التفكير وإبداء الرأي بين القرآن الكريم والمواثيق الدولية»: دراسة مقارنة، ماليزيا: جامعة ملايا.

- أبو زهرة، مُحَمَّد، (د.ت)،« زهرة التفاسير»، مصر: دار الفكر العربي.

- أحمد ابن تيمية، (١٣٩٩هـ)، «أمراض القلوب وشفاؤها»، (ط٢). القاهرة: المطبعة السلفية.

- الأصفهاني، الراغب، (١٤٢٨هـ، ٢٠٠٧م)، «الذريعة إلى مكارم الشريعة»، القاهرة: دار السلام.

- الألباني، مُحَمَّد ناصر الدين، (د.ت)، «صحيح الجامع وزياداته»، دمشق: المكتب الإسلامي.

- البخاري، محمّد بن إسماعيل، (١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م)«صحيح البخاري»، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا،ط٣. اليمامة- بيروت: دار ابن كثير.

- البخاري، مُحَمَّد بن إسماعيل، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، «الأدب المفرد»، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي،ط٣. بيروت: دار البشائر الإسلامية.

- البزار، أبو بكر، (١٤٠٩هـ)،« مسند البزّار»، تحقيق: محفوظ الرحمن زين الله، بيروت: مؤسسة علوم القرآن.

- البكري، صالح عبد القادر، (١٤٠٢، ١٩٨٢)، «القرآن وبناء الإنسان»، جدة: مطبوعات تهامة.

- البوطي، مُحَمَّد سعيد رمضان، (١٩٩٨م)، «منهج الحضارة الإنسانية في القرآن»، (ط٣). دمشق: دار الفكر.

- بوكاي، د. موريس، (١٩٧٦م)، «التوراة والإنجيل والقرآن بمقاييس العلم الحديث»، ترجمة علي الجوهري، القاهرة: دار المعارف.

- الحاكم، أبو عبد الله، (١٤١١هـ، ١٩٩٠م)، «المستدرك على الصحيحين»، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا. بيروت: دار الكتب العلمية.

- الحنبلي، ابن رجب، (١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م)، «لطائف المعارف فيما لمواسم العام من وظائف»، تحقيق: ياسين مُحَمَّد السواس، ط٥. دمشق- بيروت: دار ابن كثير.

- دراز، عبد الله،(د. ت)، «دستور الأخلاق في القرآن الكريم»، ترجمة: عبد الصبور شاهين، بيروت: مؤسسة الرسالة.

- الرازي، أبو عبد الله، (١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م)، «مفاتيح الغيب»، بيروت: دار الكتب العلمية.

- الرشدان، محمود، (١٩٩٧م)، «حول النظام المعرفي في القرآن»، واشنطن: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، العدد (١٠).

- الزمخشري، جار الله، (١٤٠٧هـ)، «الكشاف عن حقائق غوامض التأويل»، (ط٣). بيروت: دار الكتاب العربي.

- الزمخشري، جار الله، (١٤١٩، ١٩٩٨)، «أساس البلاغة»، تحقيق: مُحَمَّد باسل عيون السود،(ط١)، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.

- السجستاني، أبو داود، (د.ت)، «سنن أبي داود»، تحقيق: محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الفكر.

- السعدي، عبد الرحمن بن ناصر، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، «تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان»، تحقيق: عبد الرحمن اللويحق، السعودية: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع.

– سعيد، جودت، (١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م)، «العمل قدرة وإرادة»، (ط٢). دمشق: دار الفكر.

– ضميرية، عثمان جمعة، (١٤٣٢هـ)، «العقيدة الإسلامية في القرآن الكريم: المنهج والأركان والخصائص»، سلسلة دعوة الحق.

– الطبراني، أبو القاسم، (١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م)، «المعجم الصّغير»، بيروت– عمان: المكتب الإسلامي، دار عمّار.

– الطبري، أبو جعفر، (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)، «جامع البيان في تأويل القرآن»، تحقيق: أحمد شاكر، بيروت: مؤسسة الرسالة.

– العامري، أبو الحسن، (١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م) «الإعلام بمناقب الإسلام»، تحقيق: أحمد عبد الحميد غراب. الرياض: دار الأصالة للثقافة والنّشر والإعلام.

– عزام، عبد الله، (١٩٩٢)، «العقيدة وأثرها في بناء الجيل»، (ط١). اليمن: مكتبة الجيل الجديد.

– العماري، (د.ت)، «من حديث القرآن عن الإنسان». سلسة دعوة الحق، العدد ٢٢.

– العماري، علي مُحَمَّد حسن، (١٤٠٩هـ، ١٩٨٩م)، «من حديث القرآن عن الإنسان»، سلسة دعوة الحق، العدد ٢٢.

– غراب، أحمد عبد الحميد غراب، (١٩٨٥)، «الشّخصية الإنسانية في ضوء القرآن الكريم»، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.

– القاسمي، جمال الدين، (١٤١٨هـ)، «محاسن التّأويل»، بيروت: دار الكتب العلمية.

– القرطبي، أبو عبد الله، (١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م)، «الجامع لأحكام القرآن»، (ط٢). القاهرة: دار الكتب المصرية.

- مُحَمَّد نصير، آمنة، (١٤٠٩، ١٩٨٩)، «إنسانية الإنسان في الإسلام»، القاهرة: دار الشروق.

- مدكور، عبد الحميد، (٢٠٠٣م)، «تمهيد لدراسة علم الكلام»، بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر والتوزيع.

- مسلم بن الحجاج، أبو الحسين، «صحيح مسلم»، (د.ت)، تحقيق: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، بيروت: دار إحياء التراث العربي.

- النّسائي، أحمد بن شعيب؛ أبو عبد الرحمن، (١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م)، «المجتبى من السنن»، تحقيق: عبد الفتاح أبو غُدَّة، (ط٢). حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

- المواقع الإلكترونية:

http://www.qaradawi.net/new/Articles- 8717

http://www.nabulsi.com/blue/ar/print.php?art=371

http://www.alukah.net/social/0/527/

http://arabic.iiit.org/Default.aspx?tabid=71HYPERLINK "http://arabic.iiit.org/Default.aspx?tabid=71&articleType=ArticleView&articleId=22"&HYPERLINK "http://arabic.iiit.org/Default.aspx?tabid=71&articleType=ArticleView&articleId=22"articleType=ArticleViewHYPERLINK "http://arabic.iiit.org/Default.aspx?tabid=71&articleType=ArticleView&articleId=22"&HYPERLINK "http://arabic.iiit.org/Default.aspx?tabid=71&articleType=ArticleView&articleId=22"articleId=22

http://www.alukah.net/sharia/0/8392HYPERLINK "http://www.alukah.net/sharia/0/8392/"/

https://articles.islamweb.net/media/print.php?id=145336